Journal Of the Iraqia University 62-2(30-9) September(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

المدينة في روايتي (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) لعبدالباقي يوسف

د. سالار عبدالله أحمد

جامعة صلاح الدين/ كلية التربية- شقلاوة/ قسم اللغة العربية

The city in two novels (Hawler Habibati) and (Hawler Sidrat al- Ishik) by Abdel-Baqi Youssef

Researcher name: Dr.Salar Abdullah Ahmad
Scientific title: teacher
Salar.ahmad@su.edu.krd

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.288

الملخص

يهدف هذا البحث إلى مقاربة انعكاس المدينة في الأدب من خلال روايتي (هولير حبيبتي) و(هولير سدرة العشق) اللتين تتناولان سيرة مدينة أربيل الذاتية وواقع حياة النازحين السوريين والعراقيين في ظل الأوضاع المزرية التي عاشتها المدن العربية والإسلامية بعد أحداث مايسمى بالربيع العربي. وكذلك يهدف إلى بيان موقف كاتب الروايتين عبد الباقي يوسف من المدينة ولاسيما مدينة أربيل التي نزح إليها الكاتب برفقة عائلته. وتتجسد أهمية البحث في التركيز على مدينة أربيل- لأول مرة – في نص روائي مكتوب باللغة العربية. يتناول البحث مفهوم المدينة في اللغة وعلم الاجتماع والأدب. ويوضح العلاقة بين المدينة والدين من جهة وبين المدينة والرواية من جهة ثانية. كما يحدد خصائص المدينة في الروايتين المذكورتين. **الكلمات المفتاحية:** (المدينة، الدين، أربيل، الخصائص، الرواية، العلاقات).

Summary

This research aims to approach the reflection of the city in literature through two novels: (Hewler Habibati) and (Hewler Sidrat al-Ishik).It also aims to explain the position of the writer on the city, especially on the city of Erbil. The research deals with the concept of the city.It clarifies the relationship between the city and religion on the one hand, and between the city and the novel on the other hand. It also defines the characteristics of the city in the two mentioned novels.**Keywords:** (city, religion, Erbil, characteristics, novel, relationships).

المقدمة

حظيت المدينة منذ القدم بعناية الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع والهندسة والجغرافيا وغيرها من المجالات العلمية والمعرفية المختلفة، وشكلت ثيمة من الثيمات التي تناولتها الفنون والدراسات الأدبية أيضاً، ولاسيما الرواية التي تعد بنت المدينة أصلا، فليس هناك روائي لم يستوح من عالم المدينة في كتاباته سواء أكان ابن المدينة مثل نجيب محفوظ المولع بالكتابة عن القاهرة أم لاجئا إليها أم ضيفا فيها أم نازحاً إليها مثل الروائي الكوردي السوري عبد الباقي يوسف الذي نحن ندرس ثنائية روائية له في هذا البحث المعنون بـ (المدينة في روايتي هولير حبيبتي و هولير سدرة العشق). وما دفعنا إلى اختيار هذا العنوان تمثلات المدينة في الروايتين، وبالأخص مدينة أربيل التي تكّون بؤرة اهتمام الروائي.يهدف البحث إلى مقاربة انعكاس المدينة في الأدب من خلال ثنائيتين روائيتين معاصرتين تتناولان واقع الحياة في المدن العربية والإسلامية في ظل الأوضاع السياسية الراهنة التي عصفت بالمجتمع في مرحلة ما يسمى بالربيع العربي.وتتجسد أهمية البحث في بيان موقف الكاتب من المدينة والتركيز على مدينة أربيل وتتبع سيرتها- لأول مرة – في نص روائي مكتوب باللغة العربية، ومن منظور روائي كوردي سوري نازح مشارك في الأحداث. ومن الصعوبات التي واجهت الباحث ضبابية صورة المدينة بالمعنى السوسيولوجي والروائي في الرواية العربية، واختلاط صورة المدينة بصورة الريف من بعض الجوانب خاصة في عينتي الدراسة (هولير حبيتبي) و (هولير سدرة العشق).ولا يخفي الباحث أن ثمة دراسات سابقة عن المدينة في النصوص الروائية، منها: (الرواية والمدينة نماذج مختارة من كتاب الستينيات في مصر) للدكتور حسن حمودة و (مدن العرب في رواياتهم) للدكتور علي عبد الرؤوف و (تجليات المدينة في الرواية المغربية الحديثة) للدكتورة فاطمة بنطالي و (الرواية والمدينة) للدكتور حسين حمودة، ولكن لم تتناول هذه الدراسات واقع الحياة في أربيل وغيرها من مدن إقليم كوردستان في أي رواية عربية ومن منطلق (المنهج التاريخي) و(المنهج الاجتماعي) اللذين استند الاحث إليهما. ويشار إلى أن الباحث (حسين مجيد) كتب بحثا اكاديميا بعنوان (أنسنة المكان في رواية هولير حبيتي) بيد أنه اقتصر على الأنسنة في (هولير

حبيبتي) فلم يدرس رواية (هولير سدرة العشق) التي أضفناها نحن إلى دراستايتكون هيكل الدراسة من مقدمة وتمهيد ومحورين تتبعهما خاتمة. يتناول التمهيد مفهوم المدينة في اللغة وعلم الاجتماع والأدب، مع الإشارة إلى المدينة في الرواية الغربية والعربية. جاء المحور الأول بعنوان (الدين والمدينة) حيث ذكر فيه الباحث دور الدين في نمو المدينة مستشهداً بنصوص مقتبسة من الثنائيتين الروائيتين المذكورتين. وأما المحور الثاني فقد أفرده لدراسة خصائص المدينة مثلما تجلت في (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) وكذلك بيّن موقف الكاتب من المدينة. وأخيرا ذكر الباحث أهم نتائج دراسته في الخاتمة، ثم وثّق المصادر والمراجع في قائمة .

التمهيد

مفهوم المدينة المدينة في اللغة العربية مأخوذة من (مَدَنَ) فعندما نقول (مَدَنَ بالمكان) أي أقام به، ومدن الرجل، إذا أتى المدينة. والمدينة على وزن فعيلة، وتجمع على مدائن، ومُدْنٍ ومُدُنٍ. والمدينة: الحِصنُ يُبنى في أَصْطُمَّة الأرض، مشتق من ذلك. وكل أرض يُبى بها حِصن في أُصطمتها فهي مدينة، والنسبة إليها مديني. والمدينة اسم مدينة سيدنا رسول الله (ص) خاصة غلبت تفخيما لها (ابن منظور، ب. ت، ص ٤١٦٠- ٤١٦١) والنسبة إلى مدينة النبي (ص) مدني، وإلى مدينة المنصور وأصفهان وغيرهما: مديني. والمدائن: مدينة كسرى قرب بغداد، سُمّيت بهذا الاسم لكبرها. وكذلك المدينة تعنى: الأمة. وذكرت المدينة في موضع الحديث عن (الدين) والدين بالكسر: الجزاء، ودِنته أدينه: خدمته، وأحسنت إليه، ومَلَكته، ومنه: المدينةُ. والدَّيان القهار والقاضي والحاكم والسائس والحاسب والمجازي الذي لا يضيع عملا، بل يجزي بالخير والشر (الفيروز آبادي، ٢٠٠٨، ص ٥٨٢، ١٥١٩)وأشار البحث اللغوي إلى أن أصل كلمة (مدينة) ترجع إلى (مَدَنَ) و (دين) وكلمة دين لها أصل في الآرامية والعربية، أي أن أصلها سامي. وعرفت المدينة عند الأكديين والآشوريين بالدين أي القانون. كما أن (الدّيان) في الآرامية والعبرية تعني (القاضي). وإن مصدرها في الآرامية (مدينتا) التي تعنى (القضاء) وهذا قريب من أحد معاني الكلمة في العربية. وتوافق هذه المعاني عموماً مع ما أشارت إليه المعاجم العربية، فتشير بعض التعريفات اللغوية للمدينة إشارات واضحة إلى تحديد بعدها المادي والاجتماعي، كقول ابن منظور الذي أشار فيه إلى أن المدينة هي الحِصنُ يُبنى في أُصْطُمَّة الأرض، وكل أرض يُبى بها حِصن في أُصطمتها فهي مدينة. أما الفيروزآبادي فقد نظر إلى المدينة من منظور اجتماعي، فالمدينة عنده تعادل الأمة (عثمان، ١٩٨٨، ص ١٥- ١٦). وثمة علاقة بين كلمة (مدينة) و(دين) في المعجم اللغوي، وأشار أصحاب المعاجم إلى مدينة النبي محمد (ص) التي كانت النموذج الأول للمدينة الإسلامية التي قلدها المسلمون فيما بعد.والمدينة ظاهرة اجتماعية وموضوع أساس في العلوم الاجتماعية خاصة في علم الاجتماع الحضري، فقد اهتم عدد كثير من الباحثين وعلماء الاجتماع والمفكرين بدراستها من حيث ماهيتها وتاريخها ونشأتها ونموها ونمط الحياة وطبيعة العلاقات الاجتماعية فيها، وهذا لما تكتسيه من أهمية بالغة في عصرنا الحديث أو في العصور السابقة، فالمدينة هي أكبر الأماكن العمرانية من حيث الحجم والتعداد السكاني وتعدد الوظائف، كما أنها عرضة دائمة ومستمرة للتغيّر، وهي خليط لامتجانس من الأفكار والقيم والثقافات (هداجي، ٢٠٢٣، ص ٧٥). وعرف علماء الاجتماع المدينة بأنها " مقر إقامة لمجموعة بشرية ما، تربط بين عناصرها علاقات شتى منها العائلية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. ويعيشون في إقليم جغرافي يتميز بطغيان الجانب المادي من سكنات وبنى تحتية ومرافق خدمية ، بحيث تتنوع بتنوع طبيعة نشاطها، إلى جانب المنشآت الكبرى؛ من جسور ومصانع ومؤسسات تجارية كبيرة"(الناصر، ٢٠١٧، ص ٢٤-٢٥). كان أفلاطون أول فيلسوف بنى مدينة فاضلة في جمهوريته على أساس توفير السعادة لسكانها، وسكان مدينته قليلون لايستحيل عليهم التعارف، وكل شيء في مدينة أفلاطون رهن الفائدة العامة. والمدينة لدى أفلاطون تتكون من ثلاث طبقات: طبقة الأوصياء والمقاتلين والمزارعين (الحسن، ٢٠٠٩، ص ١٩). ويعد عالم الاجتماع الأميركي لويس ويرث أول من تناول قضية المدينة بوصفها كياناً اجتماعياً، وذلك بهدف توجيه أنظار الباحثين إلى أهمية البعد الاجتماعي باعتباره من المقومات المهمة للحياة الحضرية. فالمدينة – كما يراها هذا العالم – موقع دائم يتميز بكبر الحجم والكثافة السكانية العالية وبدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانها الذين تتميز علاقاتهم الاجتماعية بأنها أكثر نفعية (سمية، ٢٠١٤، ص ١٧٢، ١٧٣) على عكس المجتمع الريفي الذي أقل كثافة ويمتاز بصغر الحجم، فكلما كانت المجتمعات أقرب الى البداءة والريف كان التشابه والتجانس بين الأفراد الذين يؤلفونها أعظم (دوركهايم، ١٩٨٢، ص ١٥٥)ظهرت المدينة بمعنى الكلمة في الغرب وفي دول مثل العراق وسوريا ولبنان، وتتكون عناصرها القديمة من (الحصون، الأسواق، المحكمة، العلاقات و الحكومة) ، (Weber, 1996, p 80). ويرى علماء الاجتماع أن المدينة شكلت – منذ ظهورها– نقطة انقطاع تاريخي ونسقاً اجتماعياً جديداً لم تكن الحضارة الإنسانية قد ألفتها من قبل. بتعبير آخر، المدينة شكلت (ثورة اجتماعية) أدت إلى ظهور نظم اجتماعية جديدة (الحسيني، ١٩٨١، ص ١٨). ولايمكن فهم النسق الاجتماعي الجديد في المدينة، إلا بالعودة إلى النسق الاجتماعي القديم في الريف والقرية، فمنذ بداية اهتمام علماء الاجتماع بالمدينة – ولاسيما في ألمانيا مع جيل ماكس فيبر– تم التطرق إلى التباين بين المدينة والريف من زاوية التعارض بين الحداثة والتقليد. يشكل الريف المكان الخاص بالمجتمع التقليدي وبالجماعة الشمولية، وبالتقاليد التراتبية والعلاقات الضيقة بين الأشخاص الذين يعرفون أنفسهم بشكل جيد. بينما المدينة مكان للفردية والعلاقات اللاشخصية والتجدد والتبادلات العقلانية بالعملات والتجارة. يعتبر روبير أ. بارك – الذي يعد أحد رواد علم الاجتماع في شيكاغو– المدينة بمنزلة (مختبر اجتماعي) حيث لا تظهر كل سمات الحياة الطبيعية فيها وحسب، بل تتضخم خلافا للريف، حيث لا تتيح الجماعات والرقابة الدائمة للواحد على الآخر التعبير عن الجديد (كتورة، ٢٠٠٩، ص ٩٦٧-٩٦٨) والمدينة في الأدب ظاهرة بارزة لايمكن تجاهلها في الدراسات الأدبية، فلا يوجد شاعر أو روائي إلا وقد أدلى بدلوه فيها متخذا موقفاً تجاهها بحسب تجربته، سواء أكان موقفاً سلبياً أم إيجابياً. ومن بين الفنون الأدبية، أعارت الرواية اهتماما أكثر بالمدينة، وقد ربط عدد من الأدباء والدارسين بين المدينة والرواية، فيرون أن وجود المدينة والمجتمع المدني كانا دافعين فاعلين لتأسيس الفن الروائي. وتناولت معظم الأعمال الروائية المدينة، وليس هناك فن يغازل المدينة ويكشف أوراقها ويعرّي ما كان مدفونا تحت ترابها وخلف مراياها المخادعة أفضل من الرواية، فالرواية باختصار خارطة المدينة أو هي بنت المدينة وكائن مديني كما يؤكد مؤرخو ونقاد الأدب الروائي الغربي (أسود، ٢٠١١، ص ٨٩،٩١، ٩٥) وغدت العلاقة بين الرواية والمدينة، في التراث النقدي الغربي، موضوعاً أساسياً مهماً، وكان للمدينة حضور لافت في الرواية منذ الروايات الأولى التي ظهرت في التراث الإغريقي. وازداد هذا

الحضور جلاء مع الروايات التي اعترف كثير من النقاد بأنها علامات في مسار تنامي الفن الروائي كرواية (قراءة مسلية حول تيل ايلينشبيجل المولود في براونشفيج) التي طبعت في ألمانيا عام ١٥٥١م، والتي يمكن أن تعد جنينا للرواية الأوروبية الحديثة مثل رواية سيرفانتس (دون كيخوتة) التي اعتبرت نقلة مهمة في تاريخ الرواية، وارتبطت تجربتها بمتغيرات اجتماعية أساسية كان منها الإقرار بقيمة الفردية وتوسيع المدن. واقترن استكشاف هذه الصلة بين الرواية والمدينة، وتأكيدها وتوثيقها، ثم السعي إلى تعريف أبعادها بالدور المتصاعد لكل من الرواية والمدينة فيما بعد الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، ثم بالتغييرات التي شهدها القرن العشرون. لقد تحولت الرواية من نوع كان يُنظر إليه بعين الريبة، ويُحاط بما يجعله نوعاً ثانوياً – إن لم يكن محتقراً- إلى أن تصبح فنا أدبياً قادراً على أن يزاحم ثم يزحزح أو يزيح فنوناً أدبية مستقرة أو ظلت مستقرة قرونا طويلة. ثم تنامت الرواية وقدمت من المنجزات الفنية ومن التحققات التي نجحت في استيعاب عالم معقد ما دفع إلى التسليم، أو على الأقل إلى القول بأننا نعيش في عصر الرواية. وبموازاة هذا التنامي الذي عرفته الرواية، شهدت المدينة تناميا موازيا (حمودة، ٢٠٠٠، ص ١٩ – ٢١) فشكلت المدينة بؤر روايات عدد كثير من الروائيين الغربيين مثل: (هنري ميلر، ألبرتو مورافيا، إيريس مردوك، آلان روب غرييه، بلزاك وميلان كونديرا). أما على الصعيد العربي، فبرزت المدينة في أعمال (نجيب محفوظ، الطاهر بن جلون) وغيرهما (رحيم، ٢٠٠٥) ولكن على الرغم وجود هذه النماذج الروائية فإن علاقة الرواية والمدينة لم توضع في النقد العربي فيما نعلم، موضع احتفاء جدي بدرسها، بما يجعلنا نتعرف أبعادها المتنوعة (حمودة، ٢٠٠٠، ص ٢٤) في حين تحمل المدينة في الرواية العربية دلالات متنوعة لاتقل أهميتها عن أهمية دلالات الأماكن الأخرى، وقد تكون دلالة المدينة أكثر أهمية، ذلك أن النص الروائي نص مديني، بمعنى أن الأحداث الكثيرة والمتعددة التي يستوفيها النص الروائي إنما تتم في المدينة، ولاسيما الاضطرابات السياسية التي تعصف بالكيان الإنساني وتوجه مساراته ورؤاه. (عبيد؛ البياتي, ٢٠٢١، ص ١٤٨)ونستشف مما تقدم ذكره، أن المدينة هي مكان إقامة يتسم بكبر حجمها وكثرة أعداد المقيمين فيها كمدينة أصفهان، هذا فضلا عن التنوع المجتمعي كما نجده في مدينة الرسول (ص) وغيرها من المدن. ويحكم المدينة ملك أوقاض. والمدينة أرض تبنى فيها الحصون لحماية التجمعات البشرية التي تعيش فيها. ويتفق التعريف اللغوي مع التعريف الاجتماعي للمدينة في التركيز على البعد المادي والاجتماعي. ويلحظ من التعريف الاصطلاحي وغيرها من تعريفات المدينة أن البعد الاجتماعي من أهم الأبعاد التي تم التركيز عليها، ذلك لأن المدينة ظاهرة اجتماعية، يستحيل تجريدها من مفهومها السوسيولوجي وعناصرها الاجتماعية، فهي في الحقيقة امتداد للحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها الديموغرافية والجغرافية والاقتصادية والدينية و السياسية والتجارية وغيرها، فلايمكن أن نتخيل مدينة ما دون جماعات أو علاقات أو تنظيمات، فالمدينة تشكل أساساً أنساقاً اجتماعيةً مختلفة تكون شبكة من العلاقات الاجتماعية اللامتناهية بين بني البشر. وتشترك المدن في خصائص عدة، منها ضعف العلاقات الاجتماعية واللاتجانس الاجتماعي، لكن لكل مدينة خصائصها المميزة. والمدينة في الأدب وبالأخص في الرواية ثيمة بارزة، لأن ثمة علاقة وطيدة بين الرواية والمدينة، فالرواية ولدت ونشأت في أحضان المدينة. كما أن هناك علاقات قوية بين الدين والمدينة.

المحور الأول العلاقة بين الدين والمدينة

العلاقة بين الدين والمدينة علاقة قديمة ووثيقة منذ القدم، ولكل من المدينة والدين بعد اجتماعي، فالدين بطبيعته عملية جماعية، كما أن المدينة مكان لتجمع عدد كثير من الناس الذين تربط بينهم علاقات اجتماعية، وكان الدين عاملاً أساسياً في نشأة كثير من المدن. وكلما ضربنا أبعد في التاريخ كلما اشتدت العلاقة بين الدين والمدينة، فلو أخذنا المدن السومرية على سبيل المثال لوجدنا أن الدين كان عاملاً أساسياً من عوامل نشأتها، بل هناك من يرى أن السومريين أسسوا مدنهم لغرض العبادة وليس للحكم. واصطبغت المدن بصبغة دينية عند الآشوريين والمصريين القدامى، فكانت المدن في مصر تسمى بأسماء الآلهة، مثل نوت آمون (مدينة آمون) وغيرها. وحين غزى الإغريق مصر، لم يفعلوا سوى أن أحلوا أسماء آلهتهم محل أسماء الآلهة المصرية مثل: أفروديتوبوليس. وفي اليونان نفسها بدأت مدينة أثينا كمعبد للآلهة. ولكل مدينة من مدن العصور الوسطى أصل ديني تقريباً، وكانت المدن مراكز اشعاع ونشر الدين المسيحي في الوسط الوثني، وقديما كانت المدن تقابل بالريف كنقيضتين دينيين، من هنا كانت (urbani) هي المدن التي اعتنقت المسيحية. بينما (payan) هي الريف الذي لم يزل وثنياً. وقد حفظت الكنائس تقاليد المدن لأوروبا في العصور الوسطى المظلمة، وأعادت بناءها، لأن انحدار الحضارة واندثار المدن لم تصل إلى النوايا الكنسية التي كانت تجمع بعض السكان حولها حتى نمت من جديد بعد النهضة، وقد كانت هذه النوايا الكنسية تسمى المدينة (cite)واستحدث الإسلام مدنا جديدة، ومنح المدن القديمة مزيداً من النمو والازدهار مثل (يثرب) التي تحول اسمها بعد دخول الإسلام إليها إلى (المدينة)، وفي المدينة قام المسلمون ببناء المسجد الذي كان ينهض بوظائف دينية واجتماعية وسياسية وعسكرية، وهو أول أساس يقام في المدينة الإسلامية الجديدة (حمدان، ب.ت، ص ١٧٥– ١٧٦). والمسجد في الإسلام من أهم عناصر المدينة, وهو بيت الله فيها، كما أن المعبد عند الإغريق يوصف بأنه بيت رب المدينة، وكان يأوي تمثالا مكسوا بالذهب للإله أو الآلهة (ممفورد ، ٢٠١٦، ص ٢٦٠). وكانت المدينة أيضا موطن الأنبياء والصالحين أيضا، فعدد كثير منهم ولدوا في المدن أو هاجروا إليها (الحسيني، ١٩٨١، ص ٤٤).تعد مدينة (أربيل –هولير) التي تقع في إقليم كوردستان العراق – والتي تروي رواية (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) سيرتها منذ أقدم العصور إلى اليوم– من المدن القديمة التي يسبق تاريخها ظهور الإسلام، فقد ورد أقدم ذكر لها في كتابات الملك السومري (شولكي) حوالي سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد بصيغة (أوربيلم – Erbilum) وكذلك ورد بهيئة (أربيلم)، وهي كانت ضمن إمبراطورية سلالة (أورالثالثية). ومن يتصفح تاريخ أربيل يجد أنها كانت مدينة دينية وتاريخية واستراتيجية مهمة فحاول الملوك السيطرة عليها في عدد كثير من الحروب على مرّ التاريخ مثل الموقعة التاريخية الفاصلة التي اشتهرت فيها المدينة، والتي حدثت بين آخر ملوك الفرس الإخمينيين (دارا الثالث) و بين (الإسكندر الكبير) سنة ٣٣١ قبل الميلاد المسيحي. وعرفت الموقعة أيضا باسم (كوكميلا) كما سميت بـ(موقعة أربيل) لأنها كانت أكبر مدينة في المنطقة، حيث حل فيها الإسكندر لبضعة أيام. وازدهرت المدينة في العهد الفرثي الذي دام من (١٤٨) قبل الميلاد إلى (٢٢٦) مابعد الميلاد، فصارت عاصمة مملكة (حدياب) التي امتدت نفوذها في بعض الأوقات إلى الفرات غربا ونصيبين شمالا، ويذكر أن حدياب اسم آرامي، وإقليم حدياب – جغرافيا– يكاد يطابق الجزء الأكبر من بلاد آشور القديمة، بحيث سمي أحيانا باسم مرادف وهو (أثوريا) الذي يأتي بمعنى بلاد الآشور (باقر؛

سفر،١٩٦٦، ص ٣ – ٤).ولمدينة (هولير – أربيل) علاقة متينة بالدين منذ عهدها الوثني وإلى يومنا هذا، ولقد زاد نمو المدينة أكثر عندما أصبحت مركزاً دينياً في عهد الآشوريين وفي عهد السلاطين المسلمين. جعل الآشوريون مدينة أربيل كعبتهم المقدسة واعتنوا بها عناية خاصة (الصقار، ١٩٩٢، ص ٣١) مقارنة بمدنهم الأخرى (آشور، نينوي و كالح) ذلك لأن أربيل كانت من مراكز عبادة الآلهة الشهيرة (عشتار) التي ورد ذكر معبدها في أربيل في الكتابات المسمارية. واسم (إربل) اسم ديني، هو ذاته أربا – ئيلو (الآلهات الأربع) المذكورة في النقوش البابلية والآشورية المكتوبة بالخط المسماري. وتحول الاسم من أربا– ئيلو إلى (إربل) و (أيربل) و (إيرول) و (إيوليل) و (هَوليل) و (هَولير) وهذا يعني أن لكلمتي (أربيل) و (هولير) أصلاً دينياً واحداً (الأربلي، ٢٠١١، ص ١٠) ويكمن الفرق بينهما في الاستخدام، ففي الكتابات غير الكوردية يُستخدم اسم أربيل، بينما الشائع في الكتابات الكوردية هو هولير، لكن على العكس من ذلك فقد وظف الروائي الكوردي السوري (عبد الباقي يوسف) اسم (هولير) في عنواني ثنائيته الروائية المكتوبة بالعربية (هولير حبيبي) و(هولير سدرة العشق) ذاكراً ثمانية عشرة اسماً على لسان المدينة بعد أَنْسَنَتِها، والأنسنة قيمة جمالية في الفن ورؤيا فنية غير منطقية، وهي عبارة عن إضفاء صفات إنسانية محددة على الأمكنة، والحيوانات والطيور والأشياء وظواهر الطبيعة من قبل الفنان الذي يقوم بتشكيلها تشكيلا إنسانياً، ويجعلها كأي إنسان تحس وتعبر وتتعاطف وتقسو وتتحرك (أحمد،٢٠٠٢، ص ٨) مثل مدينة أربيل في الروايتين المذكورتين آنفا، وجاءت في (هولير حبيبتي) أن للمدينة عند ربها مكرمات كما أن للناس عند ربهم مكرمات. وأشارت هولير –بوصفها ساردة– أن لها أسماء عدة، منها: (خولير، أولير، هه ولير، أوربيلم، أربائيلو، أربيل، ئاربل، أرويل) وغيرها (يوسف، ٢٠١٣، ص ٩٢–٩٣، ٩٨–٩٩) بيد أنها تفضل اسم (هولير) من بين أسمائها كلها: " لكن أحب أسمائي إلى قلبي هو: هه ولير لأنه من زبدة صفوة اللسان الكوردي الذي أقف به على جذوري" (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٠٠)ولهذا أكثر الروائي من توظيف اسم هولير في سياقات مختلفة من الثنائيتين الروائيتين، وقد فعل ذلك كله لإثبات حبه للمدينة، فالذي يحب شخصاً أو مكاناً ما يكثر من ذكر اسمه. ومن جانب آخر فإن تكرار كلمة هولير تأكيد على الهوية القومية الكوردية للمدينة، وتمتزج هذه الهوية في مواضع كثيرة بالهوية الدينية الإسلامية، ففي مونولوج أو (حوار داخلي) من رواية (هولير حبيبتي) يتلذذ البطل بذكر حروف كلمة هولير ذات العلامات الذهبية الخمس في أبجدية الكورد، وفي الوقت نفسه يخاطب المدينة بوصفها شخصية مسلمة تتوضأ برحيق الياسمين، وتصلي خمسين ركعة شكراً لربها المجيد (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٣٤). وفي مثال آخر يخاطب المدينة في (حوار خارجي) قائلاً" هل تصلين يا هولير ؟ ابتسمت قائلة: المدن مثل الناس، ثمة مدن صالحة، وثمة مدن فاجرة، ثمة مدن مطيعة، وثمة مدن تعصي أوامر ربها. ثمة مدن تصوم، تخرج زكاتها، وثمة مدن لاتعرف للصوم والزكاة رائحة، ثمة مدن ذاكرة، وثمة مدن جاحدة" (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٠٥)تدخل هولير ضمن المدن الدينية الصالحة والمطيعة التي لم تعص أوامر ربها، فبارك الرب اسمها وجعلها جنةً في الأرض ومهدَ الكورد ومدينةَ (أبناء الجن) الأزلية، فالمقصود بأبناء الجن هم الشعب الكوردي الذين ينعتهم البعض بهذا الإسم (يوسف،٢٠١٣، ص ٢٦٩، ٢٨٤). وفي سياق آخر، تتناص رواية (هولير حبيبتي) مع قصة (كاوا الحداد) و(الضحاك) فعندئذ يربط السارد بين الدين والقومية الكوردية بإضفاء هالة من نورانية القداسة على تأويل رمزي ليوم (عيد نوروز) الذي يرتبط بالقومية الكوردية قائلا: أن أي مساس بنوروز هو مساس بالهوية الكوردية حتى أمسى الاحتفال بنوروز بمثابة الاستمتاع بممارسة خصائص نفحات المشاعر القومية (يوسف، ٢٠١٣، ص١٣٥). وفي هذه الرواية أيضا يسمي السارد مدينة هولير بمدينة روحانية فيعطيها هوية دينية، لكنه قبل ذلك يقف على هويتها الكوردية فيشير إلى أن الشخصية الرئيسة تمكنت من أن تتعرف أكثر على الملامح الكوردية في هولير عن قرب، فهي لأول مرة تلج أبواب مدينة كوردية خالصة تتمتع بمزايا كورديتها ضمن مساحة الإقليم الكوردي الذي يتألف من ثلاث مدن رئيسية، وهي العاصمة هولير، سليمانية – دهوك (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٥٩). وفي الرواية نفسها تسرد مدينة هولير قصة دخول الإسلام إليها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ر.ض) عندما تولى (عقبة بن فرقد) الموصل، ثم امتدت يده إليها عن طريق شرقي دجلة، وكللها مدينة جديدة في إمبراطورية الإسلام، وبذلك شعر المسلمون باكتمال إمبراطوريتهم (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٤). ولكن في الحقيقة أن كتب التاريخ والسير الإسلامية لم تذكر فتح أربيل من قبل الجيش الإسلامي مثلما ذكرت الموصل وشهرزور، إلا أن الظن كله يذهب إلى أن فتحها تم في الحملة الشمالية على ضوء معطيات المنطق ومتطلبات العسكرية بوجوب عدم ترك بؤر معادية خلف الجيش المتقدم فضلا عن مبدأ توفير الحماية اللازمة للجيش المهاجم. ولقد دخل أهل هولير إلى الإسلام أفراداً وأفواجاً وثنيين كانوا أم يهوداً ومسيحيين، باستثناء قلة من أتباع الديانتين من الذين انزووا بأنفسهم في دوائر ضيقة لا تتجاوز ازقة وقرية هناك وهناك (الأربلي، ٢٠١١، ص ١٢).ونلفي في التاريخ الإسلامي أن اسم هولير يتردد في أواخر القرن الثالث للهجرة، ولكن أخذت أربل تبرز وتتجلى أهميتها حين غدت مركزا للإمارة الهذبانية الإسلامية الكوردية التي استمر حكمها إلى مابعد سنة (٥٢٠) الهجرية (صالح، ٢٠٠٩، ص ١٤– ١٥). وورد في (هولير حبيبتي) أن المدينة عادت إلى أيدي أبناءها الكورد من الهذبانيين عندما جاءت الخلافة العباسية، فصارت قلعتها مستقراً لحكمهم، لكن استطاع (عماد الدين الزنكي) أن ينتزع المدينة، ويخضعها لحكمه، ثم استأذن (زين الدين علي كوجك) من هولير كي يقيم إمارته عليها، وقال له بأنه سيسميها (الإمارة البكتكينية). ثم تولى حكم هولير أخوه (مظفر الدين كوكبوري) فعلى طول حكم هؤلاء القادة الإسلاميين الهذبانيين شهدت المدينة تطورات ملحوظة، وبرزت مكانتها في ظل الحكم الإسلامي (يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٥). وتركت الإمارة الهذبانية انطباعاً جيداً لدى هولير، فلذلك تقول المدينة في رواية (هولير حبيبتي) عنها:"هذه الإمارة الكوردية لي معها ذكريات طيبة لأنها كانت تخصني، وهي تذكرني بأميرها: عيسى بن موسى الهزباني، وأبي الحسن بن موسكي الهزباني" (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٧٩)واستمر ازدهار أربيل في العهود الإسلامية، ذلك بعد أن أسس فيها المسلمون المساجد ومدارس علمية وأحيوا فيها الأعياد والمناسبات الدينية على طريقتهم الخاصة، ولاسيما في أواخر القرن السادس للهجرة في عهد السلطان (مظفر الدين كوكبوري الأتابكي) الذي جعل المدينة من المدن المزدهرة، وزودها بوظيفة دينية وسياسية واجتماعية وعلمية وأدبية، ففي أيام حكمه كانت قلعة هولير الأثرية حصينة، ومنارة المظفرية وجامعتها مركزاً مهما للعلم والأدب، فأصحبت أربيل مأوى للأدباء والعلماء الذين كانوا يزورونها لأجل اكتساب العلوم والأخذ من شيوخها وعلمائها وأدبائها، أو لغرض نشر علومهم وكتبهم (صالح، ٢٠٠٩، ص ٧) . وعاشت أربيل في عهد كوكبوري طامعة ومطموعة، فطمعت في أذربيجان سنة ٦٠٢ هـ، وفي سنجار سنة ٦٠٦هـ، وفي الموصل سنة ٦١٠هـ. فيما طمع فيها ملوك ومدن عدة، طمعت فيها مدينة الموصل عقب وفاة

صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ لإبطال الحكم فيها وإعادتها إليها مثلما كان عليه الأمر قبل قيام سلطة الأتابكية في أربيل. ثم طمع فيها الملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي صاحب الرها وودمشق وديار بكر سنة ٦٧١. بعد ذلك طمع فيها المغول سنة ٥٢٨هـ لكن استطاع كوكبوري حماية المدينة لحين خلع السلطنة منه بناء على طلب قدمه إلى الخليفة العباسي سنة ٦٢٢٨هـ (الأربلي، ٢٠١١، ص ١٩) بعد ذلك "توفى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك صاحب أربيل سنة تسع وعشرين لأربع وأربعين سنة من ولايته عليها أيام صلاح الدين بعد أخيه ولم يكن له ولد فأوصى بإربيل للخليفة المستنصر فبعث إليه نوابه واستولى عليها " (ابن خلدون، ب. ت، ص ١٣٩٦) ولقد حول كوكبوري في أيام سلطنته مدينة أربل إلى مدينة عامرة وزاخرة بالعمران والزراعة والتجارة حتى نالت إعجاب كل من رآها في هذه الحقبة، وعقب وفاة أمير أربل مظفر الدين استولت عليها عساكر الخليفة المستنصر بالله ثم اجتاحها التتر، وعملوا على تخريبها وقتلوا أكثر أهلها وبذلك انطوت الصفحة المشرقة من حياة هذه الأمارة الوديعة (صالح، ٢٠٠٩، ص ١٦). ومن آثار هذا السلطان في المدينة (منارة أربيل) التي مازالت باقية، وهي تقع في الجهة الغربية من المدينة، وتعرف باسم (المنارة المظفرية)، ويرتفع القسم الباقي منها ٣٧ متراً، وقديما كانت تعلو جامعاً في الأصل لم يعثر منها إلا على بقايا من بعض أسسه (باقر و سفر،١٩٦٦، ص ٦).ورد ذكر اسم الشخصية الإسلامية التاريخية السلطان مظفر الدين في الروايتين (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) مرات عدة مصحوباً بمعلومات مسترجعة من الذاكرة التاريخية للمدينة:" ثم تولى حكمي أخوه مظفر الدين كوكبوري وقد تزوج ربيعة خاتون أخت صلاح الدين الأيوبي. يومها عاهدني بأنه سيجعلني من أجمل وأقوى الإمارات الإسلامية، وقد أوفى بعهده لي، وبنى أربع خانات للعميان، وفّر فيها احتياجاتهم، وبدأ يقوم بزيارتهم عصر كل يوم إثنين وخميس، ثم بنى تكايا للصوفية، وداراً للأيتام، وأخرى للنساء الأرامل، وأنشأ المدرسة المظفرية، ثم جعل بيتاً كبيراً للضيافة يأوي إليه كل ضيف قادم إلى ربوعي، فكنت مكمن قوة الإسلام، وإمارة السحر والجمال في دوحته"(يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٥-١١٦)يتجلى في هذا المثال أن شخصية السلطان تتسم بالبساطة والسخاء والتواضع والوفاء وحب العلم والمعرفة، وكذلك تتميز بأنها شخصية خدومة ومهتمة بالمدينة من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية والعلمية، ففي أيام حكمه قدمت خدمات اجتماعية جليلة لطبقات المجتمع دونما تمييز، بحيث شملت الطبقات المهمشة في المجتمع مثل ذوي الاحتياجات الخاصة. وأكدت المصادر التاريخية أن السلطان امتاز بأخلاقه الكريمة والتواضع والميل لأعمال البر والعمران، ولم يكن له نظير في فعل الخيرات، فمن صدقاته الكثيرة التي وثقها المؤرخون توزيع كميات كبيرة من الخبز على المعوزين صباح كل يوم في أماكن عدة من أربيل، كما كان يعطيهم الملابس مرتين في كل سنة، مرة في موسم الشتاء، ومرة في موسم الصيف، هذا فضلاً عما كان يقدمه لهم وللفقهاء والشعراء والعلماء من أموال. وكذلك كان يتكلف بنفقة طريق من يبغي السفر، ويقيم كل سنة سبيلا للحج، ويسيّر مع السبيل جميع ما يحتاجه المسافر، ويقدر ماكان ينفقه على الحج كل عام بين (٥٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) دينار. أما ماكان ينفقه على الحرمين فقد بلغ (٣٠٠٠٠) دينارا (حسين، ٢٠١٤، ص ١٩٣-١٩٤). وقد تناولت رواية (هولير سدرة) في فصل خاص، جانباً من أعمال السلطان مظفر الدين الخيرية، وبذلك حدث تناص تاريخي بين الرواية والمصادر التاريخية. (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٤٠) ولقد استطاع مظفر الدين كوكبوري عن طريق أعماله الخيرة تقليص الفوارق الطبقية في المجتمع واحتلال مكانة رفيعة في قلوب الناس منذ عهده وإلى يومنا هذا، فمازل يزور أهالى المدينة ضريحه فينظرون إليه كسلطان عادل وشخصية دينية مباركة.وفي عهد مظفر الدين كوكبوري تميزت أربيل بإحياء مناسبة (عيد المولد النبوي الشريف) على الطريقة الصوفية الكوردية، ففي (هولير حبيبتي) ومن خلال مقطع من المقاطع الوصفية المنقولة من عين كاميرا الشخصية الرئيسة/ كاتب الرواية المشارك في الأحداث، يقول السارد:هذا الكلام ذكره بطقوس يوم عيد المولد النبوي، حيث رأى هولير ترتدي حلة من الزينة بقباب مساجدها، ومساحات شوارعها، وجدران بيوتها وهي تستعد للاحتفال بيوم مولد النبي. إنها أول مرة يشهد فيها يوم مولد النبي في ديار كوردية يحكمها الكورد. في الصباح بدأت الطرقات تتوالى على الباب، وبدأت النسوة في توزيع الحلوى والسكاكر، ابتهاجا بهذا اليوم. هذه الطقوس التي أخذها الهوليريون عن الأمير مظفر الدين كوكبوري الذي أقام المولد النبوي في إمارته لأول مرة وجعل ذلك تقليدا لأبنائها" (يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٥-١١٦).وقد أقام السلطان وأبناء مدينته المولد النبوي بصورة يقصر الوصف عن الإحاطة به، و وصف التاريخ الإسلامي مشاهد المولد النبوي في عهد صاحب أربيل بأن " أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده في (أي في المولد) فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل، مثل: بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار ونصيبين، وبلاد العجم، وتلك النواحي، خلق كثير من الفقهاء والصوفية، والوعاظ، والقراء والشعراء، ولايزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب، كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة أو أكثر... فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة ويعد في كل قبة جوق من الأغاني..وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم. وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب خانقاه المجاور للميدان وكان مظفر الدين ينزل كل يوم، بعد صلاة العصر، ويقف على قبة قبة، إلى آخرها، ويسمع غناءهم، ويتفرج على خيالاتهم، وما يفعلون في القباب (من صنوف الألعاب) قام يبيت في الخانقاه، ويعمل السماع فيها، ثم يركب عقيب صلاة الصبح يتصيد، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر. وهكذا كان يعمل كل يوم إلى ليلة المولد" (السندوبي، ١٩٨، ص ٨٢). وثمة تناص تاريخي آخر في رواية (هولير سدرة العشق) مع المعلومات التاريخية التي اقتبسناها من كتب التاريخ عن المولد النبوي في عهد السلطان مظفر، فعلى سبيل المثال جاء في الرواية:" كان مظفر الدين كوكبوري يقيم احتفالا كبيراً بمناسبة مولد النبي..بدأ يتوسع في هذا الاحتفال ليتحوّل إلى احتفال عام يُدعى إليه ضيوف من نصيبين، وبلاد الفارس، وجزيرة ابن عمر، وبغداد، والموصل... وكان يشارك بنفسه في نصب القباب الخشبية التي تمتد من بابي الرئيسي إلى ساحة الميدان. كان يدعو بنفسه المنشدين، والفقهاء، والوعاظ، والقراء، والشعراء، والصوفية..." (يوسف، ٢٠١٥، ص١٣٥)وعندما نقارن بين النصين في الواقع التاريخي والمتخيل الروائي نجد تشابها كثيراً، وقام الروائي بتكرار ذلك في مواضع أخرى من ثنائيته الروائية معتمداً على الذاكرة فـ" وجود الحدث التاريخي والاعتماد على الذاكرة المكانية ما جعلت الرواية تشبه كتب التاريخ، فقد عمد الروائي إلى أسلوب المراوحة في الطرح، وفي كل مرة يعود إلى ذاكرة المكان التاريخي من خلال حدث مقنع يجعل المتلقي يعود بسلاسة نحو تلك الأحداث، وكان ذلك مبثوثا في العمل على نحو لافت " (المشهوري، ٢٠٢٢) بينما هناك فرق بين الحدث التاريخي في كتب التاريخ وفي النص الروائي، لأن الروائي ينقل عن النص التاريخي (بتصرف) لغايات فنية فيشحن خطابه

بدلالات عدة، وذلك بهدف إيصال رسالة ما أو سد فراغ، وفي الحقيقة أن الرواية التاريخية، ليست إعادة كتابة للتاريخ كما هو، وإنما إعادة تدوين الماضي على نحو جمالي لا حيادي يركن فيها الروائي إلى نص تاريخي تحسبه غير مكتمل، ويقوم بملء الفراغات التي تركها المؤرخون، فالتاريخ (دال) والماضي (مدلول) والتاريخ عبارة عن رؤية المؤرخ. أما الماضي فهو ما استرعى انتباه المؤرخ فكتبه تاريخاً، وخلب لب الروائي فكتبه رواية بعد أن ثبت وقر في أذهان الناس، ثم سارع هذا الأخير إلى استيضاح معالمه أو محاكمته أو تلخيصه أو تصويبه أو إتمامه أو استحضاره، فالرواية التاريخية هي استثمار للتاريخ بتصرف للتواصل مع الحاضر والتعبر عن رؤية الكاتب. والتاريخ رافد من روافد الرواية، يرفدها بالمادة الحكائية التي يشكلها المبنى، بينما أن العلوم الأخرى فلا تمتلك المقومات الحكائية التي يملكها التارخي، فخدماتها لا تتجاوز مستوى الأدوات التي يوظفها الروائي في عمله. إن التاريخ يمتلك صلاحيات أعظم لانه السرد الأكبر، وما الرواية إلا تابعة متمردة عليه، من هنا تبرز خصوصية الرواية التاريخية (الشمالي، ٢٠٠٦، ص ١٠٨- ١٠٩)ومن ثم فإن المدينة في الرواية تختلف عن المدينة في الواقع التاريخي، فيرى كثيرون من الروائيين ومن بينهم (نجيب محفوظ) أن عملية نقل عالم الواقع إلى عالم الرواية عملية (مكر وحيل) تدخل في مجال التقاليد الأدبية التي حكمت الرواية في القرن التاسع عشر وامتدت إلى كتاب الرواية الجديدة وتتطلب تقنيات خاصة واستخداماً خاصاً للغة. وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي في التقاليد الواقعية هو عالم الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع، بل إنها خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره. فهل (قاهرة) نجيب محفوظ هي القاهرة المعزية كما يزعمون ؟ وماذا عن لندن (جلزورزي) ؟ أم أن هذه المدن خيالية (وإن استطاع القارىء أن يتحقق من وجودها الجغرافي) لها وظيفة خاصة في بناء عالم الرواية إذ تصبح حاملة لمدلولات مختلفة وترتبط ارتباطا وثيقا بالعناصر المكونة للرواية التي تسقط عليها ظلالها وتكتسب منها عمقها ؟ (قاسم، ٢٠٠٤، ص ١٠٩). وإن مايهم الروائي في الرواية التاريخية هو الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في الأحداث، وليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة. ويهم الروائي التاريخي أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والانسانية التي أدى بالناس إلى ان يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي (لوكاش، ١٩٨٦، ص ٤٦)وتركت شخصية السلطان مظفر الدين كوكبوري بصماتها في شخصيات الهوليريين منذ عهده وإلى يومنا هذا، فمازال الهوليريون سائرين على نهجه في إقامة احتفالات كبيرة بمناسبة المولد النبوي، وكذلك في ارتياد المساجد ومساعدة المحتاجين واحترام الغرباء وارتداء الملابس البسيطة، فقد جاء في رواية (هولير حبيتي)بات يمعن النظر في كل شيء تقع عيناه عليه. بساطة الناس وهم يرتدون ثيابهم الهوليرية الفضفاضة، ويملأون الطرقات، يجلسون أمام أبواب بيوتهم وهم يسبحون بمسابحهم الطويلة... وهم يمشون في الشوارع، يتجهون إلى المساجد... ما أكثر المساجد في طرقات هولير... عندما يحين موعد الآذان، يبدو الوقت وكأنه وقفة العيد...لمس أن طابع التديّن يغلب على أهالي هولير، أناس يركنون إلى سكينة الإيمان، يمارسون طقوس عبادتهم دون أن يجنحوا شطر معرج من معارج الغلو " (يوسف، ٢٠١٣، ٢٣٨-٢٣٩)نلمس في هذا المثال وأمثلة أخرى من الروايتين أن السارد يصور الأماكن العامة المفتوحة والبعد الخارجي للشخصيات، بمعنى آخر يقف على الطبقة الخارجية للمدينة فلا يخوض إلى الطبقات الداخلية، ذلك لأن عينه عين نازح غريب، فالعين الغريبة ليست كعين المقيم الذي ولد وعاش وترعرع في المدينة، فما يستوقف عين النازح الغريب ما لم تره من قبل، إذ يجد بها الجديد والمختلف. ولأن لهذه العين ذاكرة بصرية مغايرة، تستطيع أن تسجل حالات ولحظات تبدو عادية ومألوفة لعين وذاكرة المقيم. ولا ريب أن رؤية عين النازح في الرواية رؤية إضافية، لكنها في عملية المسح والاكتشاف تبقى نظرة من الخارج. وباعتبار أن المدن في أغلب الأحيان، عصية مغلقة، وتحيط نفسها بقشرة قاسية، فإنها لا تفتح ذراعيها ولا تعطي أسرارها أو مفاتيحها للوافد الجديد، فما يراه الوافد من مفاتن المدينة هو ما يبدو له من الخارج، أو ما تعرضه عليه أو ما يتمكن من الوصول إليه، والمدن ليست فقط الأشياء المكشوفة المتاحة، وإنما ما وراءها أيضاً. وهكذا تصبح المدينة مدينتين، واحدة مباحة، والأخرى تغلف نفسها بأردية سميكة في مواجهة الوافدين والغرباء، فعلى الوافد أو النازح أو الغريب أن يتعلم أبجدية المدينة، وهذه تحتاج إلى وقت وصبر ودأب. إذا بدأ الروائي الكتابة عن المدينة مبكراً أو اكتفى بالمشاهدة الخارجية وأخذ يروي، فإنه يتكلم في هذه الحالة أبجدية مختلفة، ومن الخارج، لأنه لم يتعد السطح ولم ير إلا الطريف والغريب. فالمدينة أية مدينة، نسيج معقد ومتداخل، وهي عبارة عن طبقات متراكمة ولا يمكن الوصول إلى أعماقها إلا بالمعايشة الطويلة والجهد الدؤوب المتواصل، وأيضاً بالحب ورغبة الحصول على المعرفة. ما قلناه ليس تقليلا من شأن كاتب (هولير حبيتي) و (هولير سدرة العشق) وإنما يُلحظ في أغلب روايات الذين وفدوا من الأرياف أو من الخارج إلى المدينة وكتبوا عنها، أن الأحداث والشخصيات لا تتجاوز الأماكن العامة المفتوحة، وقد تجري الأحداث في الهوامس، او بين الوافدين أنفسهم (منيف، ٢٠١٢، ص ٣٦-٣٧)وذكر السارد في المثال السابق أشياء ذات أبعاد رمزية مشاركة في تشكيل الهوية الدينية للمدينة وأهاليها، مثل: (المساجد، المسابح، الآذان، العيد، التدين، الإيمان) بالإضافة إلى اللباس (الثياب الهوليرية الفضفاضة) التي تتميز بها الشخصية الكوردية عموماً. فاللباس في المثال تحول إلى مؤشر دال لافت لنظر الآخرين، إذ يشكل هوية المدينة/ هولير القومية والذاتية. وقد اختار كاتب الرواية هذا النوع من اللباس على نحو واع، لكونه يحمل دلالة الخصوصية والانتماء، ويثبت هوية المدينة القومية إلى جانب هويتها الدينية. وفي موضع آخر من الرواية يختار نوعا من اللباس إذ يدل على هوية هولير الدينية، وذلك في يوم عيد المولد النبوي حيث يرى هولير ترتدي حلة من الزينة بقباب مساجدها، ولا شك أن ارتداء نوع خاص من الثياب في مناسبة مولد النبي محمد (ص) إنما يدل على تعظيم هولير وأهاليها لهذه المناسبة (حسين ، ٢٠١٨، ص ٧٠٦- ٧٠٧). وفي الوقت الذي ترتدي فيه المدينة أجمل الثياب في المولد النبوي، فإن أهاليها المتواضعين والمساعدين للمحتاجين يلبسون ثياباً بسيطاً مثل سلطانهم التاريخي مظفر الدين كوكبوري الذي يقول السارد عن ملابسه في رواية (هولير سدرة العشق):" كان مظفر الدين يميل إلى الزهد بالنسبة لحياته اليومية على قدر ما يميل إلى السخاء بالنسبة لفعل الخير والصدقات، فكان يرتدي ثيابا زهيدة الثمن، وذات مرة عندما طلبت منه ربيعة خاتون أن يرتدي ثيابا ثمينة، قال لها بثقة: أيهما أصلح وأكثر أجراً، أن ألبس ثوبا بعشرة دراهم، او ألبس ثوبا بخمسة دراهم وأتصدق بالخمسة الباقية على فقير أو مسكين" (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٤٠) وأخبرتنا المصادر التاريخية أن الملابس التي كان يرتديها مظفر الدين لم تكن لائقة بمقامه كسلطان أو أمير، فكان يلبس الثوب الخشن من النوع الذي كان يشتريها بثمن زهيد لم يكن يزيد عن خمسة دراهم، وأصر مظفر الدين على ارتداء هذا

النوع من الثوب مثل الزهاد والمتصوفين تواضعاً وتقرباً إلى الله في حين أن جسده لم يعد يتحمله، وظل يرتدي هذا اللباس غير آبه باعتراضات زوجته ونظرة الناس إليه (حسين، ٢٠١٤، ص ١٩٩). لو نظرنا إلى ملابس الشخصيات الأربيلية في (هولير حبيبتي) لوجدناهم قانعين كسلطانهم بما أعطاهم الله فلا يطمحون إلى المزيد من مال الدنيا، ولا تروق لهم فكرة ادخار شيء للغد، ولا ينظرون إلى امتلاك أكثر من بيت واحد، وعندما يجنح أحدهم شطر السعة، يُقال له أول ما يُقال: بيت واحد يكفي، زوجة واحدة تكفي، دكان واحد يكفي، سيارة واحدة تكفي، هاتف واحد يكفي، محفظة واحدة تكفي (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٣٠)ومن المظاهر الدينية البارزة في أربيل التي تتناولها (هولير حبيبتي) إحياء الطقوس والشعائر والمناسبات الدينية بحفاوة وعلى نحو خاص، فعندما يحل شهر (رجب)، فإن الهوليريين يبدأوون بصوم ما يستطيعون من أيامه، ويرددون أبياتا شعرية باللهجة التركمانية. وعندما يحل شهر شعبان، يكنون له احتراماً خاصاً، فيؤجلون فيه الزواج ويمتنعون فيه من الختان، ويسعون كي لا يقيموا بيتاً جديداً، أو حتى يرفضون ترميم بيوتهم، أو القيام بطلائه في شهري محرم وصفر. وكذلك لا يستحبون الانتقال إلى بيت جديد في شهر صفر، وفي اليوم العاشر من شهر محرم، يقومون بتوزيع الهريسة (يوسف، ٢٠١٣، ص٢٤٢-٢٤٣). ويعتقدون بأن صوم النبي (زكريا) كان أول يوم الأحد من شهر (شعبان) فوهبه الله ابنه يحيى، ولذلك يصوم من يرجو الله أبناء، عندما يستجيب الله لرجائه، فإنه يداوم على صيام هذا اليوم من السنة دوماً. أما في (ليلة النصف من شعبان) يتجول الأطفال وهم ينشدون الأغاني الدينية، ويتجه الرجال والنساء إلى المساجد. وعندما يحل شهر رمضان، يستقبله الهوليريون بالابتهاج مرددين الأبيات التالية باللهجة التركمانية: (كه نه كالدي رمضان/ اجيلدي قوه قه زان/ رمضان قوه قه زان/ موللار ويرر أزان) . وقد تطلق كلمة (الهوليريين) على سكان هولير الأصليين أو التركمان الذين يعدون جزءا من النسيج الاجتماعي لمدينة هولير، فهم يتميزون بالنبل والنقاء والتدين الأصيل النابع من عمق الفطرة، كما هو مذكور في رواية (هولير سدرة العشق)، (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٧١). وتتماز أجواء رمضان في أربيل بالروحانية والبركة، فبهذا الخصوص تخاطب أربيل في (هولير سدرة العشق) الشخصية الرئيسة قائلة:

" – كيف أمضيت رمضانك الأول هنا ؟

– كان أكثر رمضان رمضانا، كان ياهولير أكثر رمضان غنى وروحانية، أكثر بركة من كل تلك الرمضانات التي شهدته. اكتشفت هنا كيف يمكن للمرء أن يحتفي بهذا الشهر، كيف يمكن له أن يوقر منزلته.

– أفتخر بين سائر مدن الأرض بأن أهلي من أكثر الناس احتفاء برمضان، كما أنهم من أكثر الناس توقيرا للنبي.

– لمستُ ذلك في يوم مولدهن ولمسته في العيدين الأولين هنا، عندما يتبادل الناس تهاني العيد قائلين: اللهم صلي على سيدنا محمد... جشنتان بيروزبيت " (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٣٣-١٣٤).وثمة حضور لافت للدين في مناسبة الزواج أيضاً، فبعد أن تتزوج الفتاة الهوليرية، تأخذ معها نسخة من القرآن إلى بيتها الجديد كي تستمر حياتها مع القرآن، وكأنها وصية والديها حتى لا تنقطع عن القرآن بخروجها من البيت، وكذلك حتى تعلم أولادها قراءة القرآن في المستقبل، فهكذا يمضي كل شيء في نهج المجتمع الهوليري المحافظ وعلى أرض هولير التي يسميها السارد في (هولير حبيبتي) بأنها سيدة أرض الرب المباركة (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٣٣، ٢٤٠-٢٤١)ويترعرع الطفل الهوليري أيضاً في أجواء هذه الطقوس الدينية، فمنذ اليوم الأول لولادته، يكون القران قريباً منه، بحيث يتم وضعه بجانب وسادته، أو يتم وضعه على أقرب حائط إليه. وإذا رأت الأم أنه تأخر في المشي، يتم ربط قدميه بخيط رفيع، وعند صلاة يوم الجمعة يتم اصطحابه إلى الجامع، وعندما تنتهي الصلاة، يتقدم إليه أول الخارجين من الجامع، ثم يقطع الخيط، وهو يمسك بيده ويخطو به خطوات إولى نحو المشي. حتى الكتابات التي تزدان بها الواجهات فإنها تصر على الحرف القرآني (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٢). وذكر السارد في (هولير حبيبتي) طقساً مسيحياً واحداً، وذلك عندما ترى الشخصية الرئيسية عدداً من الأطفال، إذ يسبحون في مياه هولير، وكأن المدينة تعمدهم بيديها المباركتين في عذوبة مياهها. والتعميد أو التغطيس من أهم الطقوس الضرورية عند المسيحيين، وتكون بأن يغطس الطفل صغيراً في ماء قد صلى عليه القسيس فيصبح مباركا ويضم إلى الجماعة المسيحية ويصبح عضواً في الكنيسة، كذلك فإنه يمحو الخطيئة الأصلية للانسان ويمنحه الحياة (إدوارد، ٢٠٢١، ص ٢٠)أما في مناسبة عيد القربان (الأضحى) فتثبت هولير هويتها الدينية الإسلامية مرة أخرى، فعن هذه المناسبة تقول رواية (هولير سدرة العشق) أن الناس في هذه المدينة يقبلون على الأضاحي بكم هائل اتباعاً لوصية أربيل التي فرضت على أبناءها بألا يبقى أحد في ربوعها دون أن يشبع لحما ثلاثة أيام متواصلة. وفي صبيحة العيد يخرج الهوليريون من بيوتهم باكراً لصلاة الفجر، ثم صلاة العيد في المساجد، بعدئذ يؤوبون إلى بيوتهم كي يتناولوا طعام إفطار العيد المميز عن سائر الأيام الذي يتكون غالبا من التمن، أو اللحم مع المرق والبرغل أو الرز، ذلك أن لديهم اعتقاد أن تناول اللحم في وجبة إفطار صبيحة العيد يجلب البركة. إثر ذاك يدور الناس على البيوت من أجل تبادل تهاني العيد، ولا يتركوا اثنين على خصام دون أن يصلحوا بينهما في هذه المناسبة، وهذه هي التقاليد الدينية والاجتماعية التي دأب عليها أهل اربيل (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٤١)وإن لمناسبات المكونات الدينية الأخرى في أربيل مميزات خاصة ساهمت في ازدهار المدينة اجتماعياً وخلقت مجتمعاً مسالماً ومتعايشاً مع بعض، فمثلا كانت لليهود أربعة أعياد يشارك فيها المسلمون كما ذكر في رواية (هولير حبيبتي)، وهي: (عيد الخيمة، عيد الفطير، عيد نزول التوراة وعيد يوم السبت) وكان العيد الأخير استثنائياً عند يهود هولير، كان يوم راحة تامة، لايشعلون فيه ناراً في البيت، ولايطبخون طبخاً، ولا يصنعون شاياً، ولا يوقدون مصباحاً. كانوا يأكلون ما في البيت من طعام بارد، وعندما يريد أحدهم أن يشرب شاياً، يذهب ويشربه عند جاره المسلم، أو يوصي إبريقا من المقهي. وكانت الأطعمة والمكسرات هي سيدة الأعياد اليهودية، فكانوا يأخذونها لجيرانهم المسلمين. إضافة إلى أن النسوة اليهوديات كن شهيرات بخياطة الملابس النسائية، وكذلك بصناعة الأعشاب الطبية، وكانت النسوة الكورديات يتوافدن إليهن من جميع أنحاء أربيل. وليس هذا فحسب، بل يقول السارد (كاروان) أن علاقة حب نشأت بين أمه اليهودية ووالده المسلم، وأدت العلاقة إلى الزواج بعد اعتناق أمه الدين الإسلامي، فعندما ذهب أهلها إلى مدينة أورشلم في إسرائيل، أصرت أمه على البقاء مع زوجها وأولادها في أربيل. ويستطرد كاروان قائلاً: أن أفضل مافعلته أمه هو أنها تزوجت في هولير، وأنجبته فيها، لأن هولير في وجهة نظره مدينة روحانية بامتياز، تحقق طمأنينة روحية لسكانها. ويوبخ كاروان السياسات المقيتة التي تتدخل دوماً لتفتيت

النسيج الاجتماعي للناس (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٢٧–٢٢٩) باسم المكونات الدينية والعرقية، فعلى سبيل المثال العلاقة الاجتماعية والدينية التي ذكرها السارد في الرواية بين المسلمين واليهود في أربيل أنموذج رائع لوجود التعايش السلمي في الماضي بين اليهود والمسلمين، لكن السياسة أبعدت المكون اليهودي إلى إسرائيل بعد أن " دأب الكوردستانيون منذ قديم الزمان أن يعيشوا معاً في المدن والقرى دون وجود حائط بينهم، فالذي ينظر إلى المدن الكوردستانية يدرك بأم عينيه حقيقة مفادها أنه لا يكاد يوجد من بينها مدينة يعيش فيها مكون واحد، بل تعيش المكونات المختلفة جنبا إلى جنب بدون جدران فاصلة بينهم، فانظر إلى قلعة أربيل الأثرية لترى آثارا صامدة تؤكد على العيش المشترك بين أتباع الديانات والأقوام والمذاهب المختلفة، إذ عاش المسلمون والمسيحيون واليهود المختلفون دينياً، وكذلك الكورد والتركمان والآشوريون المختلفون قوميا بجانب بعضهم البعض" (بيدار، ٢٠٢١، ص ٤٩– ٥٠). ويُذكر أنه عاش اليهود في إقليم كوردستان بعد السبي الآشوري لهم، وإسكان أسراهم في أربيل ومناطق كوردية أخرى لحين قيام الدولة اليهودية في أرض فلسطين وهجرة اليهود من أنحاء العالم إليها بضمنه يهود أربيل (الأربلي، ٢٠١١، ص ١١). وكذلك تعايشت المكونات الدينية والعرقية في أرياف المدن الكوردستانية معاً بسلام مثل المسيحيين والمسلمين في (شقلاوة) التي يصفها (رزكار) في (هولير حبيبتي) على النحو الآتي: "شقلاوة فيها خليط من المسيحيين والمسلمين، ويتردد إليها السياح من العراق، ومن كل بقاع العالم". (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨٣)وأبرز سبب من أسباب متانة التعايش السلمي في كوردستان عموماً وفي أربيل خصوصاً بين المكونات الدينية المختلفة هو الفهم المسالم للدين ولاسيما عند المسلمين الذين يعد دينهم دين الأغلبية في البلد، غير أن أغلبية المكون الإسلامي الكوردي لم يؤد إلى إقصاء أتباع الأديان الأخرى مثل المسيحيين واليهوديين والكاكائيين والأيزيديين والآشوريين والكلدانيين والتركمان وغيرهم، ويعود فضل ذلك إلى علماء الدين الإسلامي في كوردستان الذين تميزوا بفهم مسالم للنصوص الدينية من القرآن والسنة، فعليه أرسوا دعائم التسامح والتعايش السلمي، ووقفوا سداً منيعاً أمام الطامعين في المكونات الدينية غير المسلمة، واستضافوهم في بيتوتهم ومساجدهم وتكاياهم وخانقاهم، بل وصل الأمر إلى أنهم ضحوا بأنفسهم من أجل حماية الكاكائيين والمسيحيين والبهائيين واليهود وغيرهم، فانتشرت هذه الثقافة في المجتمع. ولا يختلف الفهم المسالم للدين بين غير المسلمين عن فهم المسلمين في أربيل وبقية المدن الكوردستانية التي أشبه بمدينة الرسول محمد (ص) من حيث التخطيط العمراني اللاتجانس الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم من اتباع الديانات الأخرى، وإن اللاتجانس يؤدي في معظم الأحيان إلى أن يكون المرء في المدينة على علاقة منتظمة مع الأشخاص والجماعات التي تختلف عنه من حيث العرق والدين والحالة الاجتماعية، فزيادة عدم التجانس تنتج قدراً أكبر من التسامح بين المجموعات حيث يتم كسر الحواجز العرقية والدينية والطبقية، وتختفي الهوية الفرعية (Gottdiener,Hutchison,2011,p 57) وفي (هولير سدرة العشق) يقدم السارد رجل دين مسلم أربيلي منفتح ومستنير، إذ يصدر فتوى من أجل استمرار التعايش الزوجي بين رجل وزوجته (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٣٥). وعلى خلاف ذلك، يشارك رجال الدين في العاصمة (دمشق) وغيرها من المدن السورية في تأجيج المعارك بين النظام والمعارضة عقب اكتظاظ العواصم العربية بأفواج المتظاهرين في أيام ما يسمى بالربيع العربي التي كان كل شيء فيها بات بشكل تلقائي يساند استمرار الحرب، حتى أفواج النازحين لجأوا إلى مخيمات دول مجاورة. فهناك مضى الجميع وفق منهج الديمومة، حتى فقهاء وأئمة الطرفين باتوا جنودا في دفع التصعيد وحدة المواجهة، فبقت الأبواب كلها مشرعة لاجتذاب أكبر عدد من متطرفي العالم (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٥٧–٢٥٨) بيد أن السارد في رواية (هولير حبيبتي) أشار إلى أنه لايقدر أي فقيه هوليري على أن يقنع شاباً هولبرياً كي يجنح به شطر الغلو ليجعل من بدنه قنبلة موقوتة في أناس مهما كان انتماء هؤلاء الناس (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٣) وفي موضع من رواية (هولير حبيبتي) تفتخر أربيل بهويتها الآشورية والدينية القديمة، ذلك لأن الآشوريين كرّموها عندما قطنوها، وجعلوا في ربوعها عرش عشتار المقدسة، وكللوها في كتابات مسمارية بهذه العبارة: "أي –كشان– كلاما" التي تعني (بيت سيدة الإقليم)، فاكتسبت المدينة بذلك رمزية دينية لسائر أبناء وحفدة آشور من الذين اعتبروها محجاً كما نلمسه في رواية (هولير حبيبتي) (يوسف، ٢٠١٣، ص١٠١) وذكرت أربيل في هذه الرواية أيضاً أن الملك الآشوري (سنحاريب) بذل كل ما بطاقته لمد المياه إلى ربوع القلعة التي تعلق فؤاده بها، وعبر عن دفق مشاعره بهذا الإنجاز كاتبا بلغته المسمارية ذات يوم على ضفاف نهر بستورة:أنا سنحاريب، ملك بلاد آشور/ حفرت ثلاثة أنهر من جبال خاني/ التي في أعالي مدينة أربائيلو..موطن السيدة الجليلة الآلهة عشتار/وجعلت مجراها مستقيما " (يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٣) ويتطابق ماورد في الرواية مع المعلومات المذكورة في التاريخ بخصوص مد المياه إلى المدينة من قبل سنحاريب على غرار مافعله في الموصل (٧٠٥– ٦٨١ ق. م). وتفيد المعلومات التاريخية بأن أربيل كانت من المراكز الآشورية البارزة، وتثبت الأدلة الأثرية الأهمية الدينية لمدينة أربيل في نظر الآشوريين، فعلى سبيل المثال وجد عدد من الآثار المكتوبة في قلعة أربيل، منها تمثال برونزي يذكر الآلهة عشتار والملك الآشوري آشور دان الثالث (٧٧٢– ٧٥٤ ق.م). (باقر؛ سفر، ١٩٦٦، ص ٣) وجدير بالذكر، لم تتناول ثنائية (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) العلاقة بين الدين والمدينة بالتفصيل في أي مدينة أخرى ماعدا مدينة أربيل، فمثلا – في إشارة خاطفة فقط – ورد اسم مدينة (كابول) الأفغانية في رواية (هولير حبيبتي) عند مقارنتها بمدينة أربيل من حيث التراث الديني (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٠٨) وتنتمي الخارطة البنائية لهولير إلى المدينة الإسلامة، كونها تتشكل من العناصر التي يعرف بها المدينة الإسلامية، مثل: (المسجد، القلعة، دار الإمارة والقيسارية) ولكن للمستشرق الفرنسي (جان سوفاجيه) رأي آخر، إذ يرى أن ما يطلق عليه (المدينة الإسلامية) ليس سوى المدينة اليونانية أو الرومانية التي سبقتها، وأن التغييرات التي أحدثها الإسلام في المدن القديمة، لا يعني أنها اكتسبت صفة جديدة، وإن كانت المساجد قد حلت محل المعابد والكنائس. ولاشك أن هذا الرأي فيه تعسف، فليست كل المدن الإسلامية وريثة لمدن سبقتها، فالمسلمون أنشأوا مدناً في مناطق لم تطأها قدم اليونانيين والرومانيين مثل مدينة البصرة والكوفة وبغداد. وعلى الرغم من أن بدايات المدن الإسلامية كانت متواضعةً، فإنها ما لبثت أن ازدهرت وفاقت المدن التي سبقتها عمراً ووجوداً (إسماعيل، ١٩٨٨، ص ٦٨– ٧٣) والمسجد من أهم عناصر المدينة الإسلامية في الدول ذات الأغلبية المسلمة، بل هو النواة التي تقوم المدينة من حولها، ويرجع ذلك إلى الأدوار الضخمة التي يضطلع بها المسجد على المستوى الاجتماعي والديني والسياسي والفكري، فهو لم يكن مكاناً للعبادة فحسب، بل كان مكاناً لمناقشة أمور المسلمين، ومدرسةً تدرس فيه القرآن الكريم والعلوم العقلية والنقلية، كما كان موضعاً للندوات والمناظرات ومجلسا للقضاء. ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ أولو الأمر في جعل عدد المساجد متمشياً مع حاجات الناس ومطالبهم. وكان في عهد الدولة الإسلامة العديد من

الخناقاهات الملحقة بالمساجد، وكان للصوفية في خنقاهاتهم مجالس ذكر. وتتفرد أربيل في المتخيل الروائي وفي الواقع أيضا بكثرة المساجد، فثمة مسجد جامع داخل قلعتها، ويتموقع المسجد في وسط القلعة التي تضم مدينة هولير القديمة، وفكرة بناء المسجد في وسط المدينة مأخوذة من النبي محمد (ص) الذي أراد بذلك أن يكون المسجد نواة العاصمة والحاضرة الجديدة للدولة العربية الاسلامية، وأن يكون بمثابة القلب للمدينة مثل مسجد المدينة المنورة التي بناها الرسول (ص) في عهده. وقد توسعت مدينة أربيل حول القلعة بعد دخول الإسلام إليها، فتشكلت على نحو دائري مثل المدن الإسلامية المخططة والمبدعة، وتم إنشاء سوق كبير وقيساريات (محمد؛ حسن، ٢٠١٦، ص ٦٠١- ٦٠٢) في جوار أو حول القلعة وجامعها، كما تم بناء مساجد وجوامع أخرى إذ اشتهرت بعضها بالأسواق المحيطة بها، فكمل كل منهما الآخر. وتم ذكر أكثر من (١٧) مسجداً وجامعاً في (هولير حبيبتي) منها : (جامع القلعة الكبير، جامع شيخاني، جامع السوق الكبير وجامع خانقاه الخالدية) وغيرها (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٣٩). ومن مميزات بعض المساجد في أربيل، إلحاق خانقاه ببعضها ليقيم فيها المتصوفة حلقات الذكر، ووظيفة المسجد في هولير منذ عهد السلطان مظفر الدين لا تختصر في الواجبات والمناسبات الدينية فقط، بل قد يؤدي وظيفة اجتماعية كما نراه في (هولير سدرة العشق)"عندما يجتمع الناس في المسجد ويستفتحون الإفطار معا، ينتابهم شعور بأنهم جميعا من عائلة واحدة، اكتشفت هنا بان المسجد أيضا يؤدي هذا الدور الاجتماعي في تقوية الصلات الاجتماعية بين الناس ". (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٣٤)وإن كثرة المساجد في المدينة إن دل على شيء فهو يدل على أن مدينة هولير تصنف ضمن المدن الدينية الإسلامية، ومن مميزات هذا النمط من أنماط المدن تمتعها بعناصر خاصة من حيث التخطيط والعمارة، وهذا بحد ذاته تفرد لا نشهده إلا في المدن الغنية بالموروث الديني الذي يمثل نتاج مجموعة متنوعة من الظروف التي أمليت عليها عبر الزمن من عادات وتقاليد مجتمعية وظروف جغرافية وبيئية ساهمت جميعها في انتاج المشهد المورفولوجي لهذا النوع من المدن ورسم ملامحه التخطيطية، وجعل من تخطيطها ومورفولوجيتها العمرانية ميزة حضرية تضاف الى ميزاتها، فالبعد الزمني لأبنيتها التي باتت تمثل بصمة كبيرة في هوية المدن الدينية يضاف له شكل الشوارع والأزقة ومسارات الحركة الداخلية التي يحكمها النظام العضوي المترابط لمحلاتها السكنية بالمركز وما تتصف به من الجوانب التقليدية الممتزجة بالحداثة والمعاصرة كما نذكرها لاحقا. فضلا عن النسق العمراني ذات الطابع الديني ونوعية عمارة أسواقها التقليدية وميادينها العامة والأفقية المرافقة لمراقد والمساجد ودور العبادة وصولا إلى نوع من التكامل في جانب العمارة والوظيفة المراعية للعديد من الجوانب البيئية المؤثرة (الجميلي، ٢٠٢٢). ويتموقع المسجد في وسط المدينة، حيث – غالباً ما– تحيط به الأسواق التي تحتاج اليها المدينة، ومن المعروف أن المسجد قام بدور هام في إيواء المسافرين إلى جانب الفنادق. وعادة ما تحيط القيسارية بالمسجد، وقديماً كان يقوم هذا النوع من الأماكن في المدينة بدور مستودع البضائع. ولاتزال هناك قيساريات المسقوفة في كثير أسواق من المدن المصرية والعراقية، ومن ضمنها مدينة هولير. وكذلك هناك أسواق مخصصة – كسوق العطارين والنحاسين وغيرها – في المدن التي أنشأها المسلمون أو المدن التي اكتست طابعاً إسلامياً بعد دخول المسلمين إليها (المعتصم، ١٩٨٠، ص ٢٣٣–٢٤١) مثل مدينة أربيل في رواية (هولير حبيبتي) التي تصورها عين نازح سوري على النحو الآتي:" عندما رأى نفسه قريبا من سوق ((النكة)) على شارع الأربعين، دخله من إحدى بواباته، وصار يتنقل برفقة عائلته بين تفرعات قيصرية هذا السوق الضخمة الذي يحتوي مئات المحال المتخصصة...إنه يشكل مدينة مختصرة في قيصرية كبرى، حيث يمكن للداخل أن يعثر على مايشاء وهو يمر بجانب محال الذهب، والألبسة، والأدوات المنزلية، والإلكترونيات، والأغذية... مايميز هذه الأسواق الهوليرية الضخمة، أنها لا تشعر الداخل إليها بتكرار الدخول " (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٩–٢٥٠) ففي المقطع أعلاه، يدخل السارد إلى قيسارية – أو قيصرية مثلما ورد في الرواية– سوق لنكة في هولير فيصور لنا ما بداخلها من محال وتفرعات تصويراً شاملاً. ويصف مناطق مخصصة من سوق هولير الكبير الشبيه بأسواق المدن الإسلامية القديمة، مثل: منطقة عيادات الأطباء، منطقة الأجهزة الإلكترونية، منطقة لبيع اللحوم، منطقة للخردوات، منطقة للآلات الموسيقية، منطقة للمكاتب العقارية، منطقة لتداول العملات، منطقة للخضار والفاكهة وغيرها (يوسف، ٢٠١٣، ص٢١٠) فكل جماعة ذات مهنة ما، تشبه مدينة تعيش حياتها الخاصة. وهذ الوضع هو الوضع الذي لبثت فيه المدن القديمة حتى زمن متأخر نسبياً، ومنه خرجت المجتمعات المسيحية " (دوركهايم، ١٩٨٢، ص ٢١٦– ٢١٧). وقديما كانت هناك دار الإمارة في أربيل، ثم أخذت الحياة تنمو وتتسع وتزدهر في المدينة في القرنين السادس والسابع الهجريين، وأدى هذا الازدهار إلى القسم الأسفل من المدينة (الربض) لاسيما في عهد كوكبوري الزاهر، بحيث تحول الربض إلى مدينة عريضة وطويلة. كان السلطان كوكبوري يسكن دار إمارته داخل القلعة وينزل منها بعد صلاة العصر من كل يوم، ليتفرج على الألعاب المسلية ويستمع إلى الأغاني والموسيقى. واعتاد في الليل أن يذهب إلى الخانقاه لمشاركة السماع (أي المنقبة النبوية) الذي كان يقام فيها (حسين، ٢٠١٤، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٥) يتبين مما سبق، أن الدين يشكل إحدى الركائز التي تقوم عليها المدينة، وقد أدرك الروائي (عبدالباقي يوسف) في ثنائيته الروائية أهمية العامل الديني في إنشاء المدن وتطويرها، فلم ينس الوقوف على هذا العامل عند كتابة السيرة الروائية لمدينة أربيل التي تعد ضمن المدن الدينية الإسلامية من حيث نمط التدين وكثرة أعداد المسلمين والتخطيط العمراني، ولكن ذلك لم يؤد إلى إقصاء الآخرين من غير المسلمين فمنذ قديم الزمان يعيش في أربيل أتباع ديانات مختلفة في سلام ووئام، وذلك بفضل فهم رجال الدين المسالم للنصوص المقدسة. وقد برزت القيمة الدينية لهولير في عهد الآشوريين وفي عهد السلطان المسلم مظفر الدين كوكبوري الذي سجل تاريخا مشرقا للمدينة إبان حكمه.

المحور الثاني خصائص المدينة

لاتخلو أية حضارة من المدينة، ولكل مدينة في أية حضارة خصائص مشتركة وأخرى مميزة " بحيث يمكن القول أن هناك بين كل المدن تشابها عائلياً يسمح بوضع تعميمات وقوانين عامة على تركيبها الداخلي ونموها، فإن تعين المدينة ظل يصوغ لها أبعادا أخرى خاصة، أو يمنحها خصوصية مميزة. وقد طالت هذه الأبعاد وهذه الخصوصية عناصر جوهرية في تكوين المدن فيما بعد العصر الصناعي، إذ لم تعد مدن العالم واحدة أو مشابهة إلى حد يمكن معه الاطمئنان إلى إطلاق أحكام معممة عنها، كما كانت الحال في عصور سابقة على هذا العصر. ورغم أن المدن العربية والشرقية أخذت الكثير من مدن الغرب، خلال القرنين الماضيين، فإن هذه المدن ظلت محتفظة بملامح مميزة مرتبطة بتراث قديم، نائية إلى حد عن الملامح

التي عرفتها مدينة الغرب الصناعي ومابعده. وقد حافظت المدن العربية والشرقية على عناصر قديمة في تكوينها، ولم تسمح للجديد الوافد بأن يستبعد هذه العناصر تماما. إذن ليس صحيحا ذلك المسلك الذي يسلكه بعض الباحثين الذين يغفلون خصوصية المدينة الشرقية التي تميزها عن مدينة الغرب فالإختلاف قائم حتى بين مدن الغرب نفسه " (حمودة،٢٠٠٠، ص٥٣)وتم اختطاط المدن والأمصار للتحضر، ومن سمات التحضر عند ابن خلدون الرفاهية والدعة والترف وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وبناء القصور والمنازل التي يجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس أو فراش أو آنية أو ماعون (ب. ت ، ص ٦٤) ولكن نسبة الحضرية تختلف من مدينة إلى أخرى، فهناك مدن مازالت تنتشر فيها خصائص الحياة الريفية التي تختلف عن الحياة الحضرية مثل التجانس الاجتماعي والانتماءات المتباينة من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية والحراك الاجتماعي والتخصص في العمل وتقسيم الواجبات المنزلية بين الرجل والمرأة وبناء العلاقات الاجتماعية على أساس المصلحة الخاصة وضعف العلاقات بين الجيران وتقديم خدمات صحية وتعليمية و اختفاء معالم الطبيعة بسبب النمو العمراني الذي أدى إلى إزالة أو تعديل العديد من المظاهر الطبيعية مثل الجبال والانهار وغيرها. وعلى الطرف النقيض نرى أن الحياة الريفية مغايرة إلى حد كبير للحياة الحضرية، خاصة من حيث العلاقات الاجتماعية التي تقوم على أساس روابط القرابة والجيرة والصداقة وليس المصالح، ومن حيث التفاعل الاجتماعي الذي يبدو أكثر ثباتا ودفئا، ويوجد في الريف تجانس كبير بن السكان، ويهاب سكان المناطق الريفية من الغرباء ويحافظون على التقاليد ويخافون من الجديد (أحمد، ب. ت). ويؤكد بارك (Parc) الذي هو أحد مؤسسي مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع الحضري على أن الحياة في المدينة أو في البيئة الحضرية لا توجد فيها الأشكال البسيطة والتقليدية في المجتمع، فالحياة الحضرية أضعفت العلاقات الوطيدة بين الأفراد، فلم تعد تلك العلاقات مثلما كانت سائدة في الجماعات الأولية. ويقول عالم الاجتماع الحضري لويس ويرث (Louis Wirth) أن مصطلح الجوار في المدينة يكاد يحمل معنى واحداً وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان، لأن الحياة الحضرية تفرض على العلاقات بأن تكتسي صبغة الاستقلالية والشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة بالسكان. ويؤكد أن مصطلح الجوار في المدينة يكاد يحمل معنى واحداً وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان، لأن طبيعة العلاقات الحضرية تكتسي صبغة الشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة، بينما هذه العلاقات تختلف في الريف، لأن الريفيين يتقاسمون خصوصيات حياتهم، ويخضع الفرد لسلطة الجماعة على حساب رغباته الشخصية، ويكون التضامن بين الجيران تقليدياً وبدون مقابل ولا تفكير، وتتسم علاقات الجيرة بالتعاون والحماية والمودة والإخلاص والتفاعل. أما العلاقات الاجتماعية في المدينة فمبنية على أساس المساواة، وليس من الضروري أن يلتقي الجيران كل يوم، وهناك حتى من لايعرف جاره، فالمجاورة عموماً مبنية على التقارب الفيزيقي المكان وهي غير كافية لشعور الأفراد بإحساس الجيرة (سمية، ٢٠١٤، ص ١٧٨– ١٧٩).وقد بنى العالمان الاجتماعيان بارك ولويس ويرث وغيرهما من علماء الاجتماع الغربيين تصوراتهم عن المدينة على أساس التأمل في المدينة الغربية، فإذا اعتمدنا على ماقاله هؤلاء يمكننا القول أن المدن الشرقية ولاسيما المدن الإسلامية والعربية والكوردية لاتجتمع فيها كل خصائص الحضرية مثل المدينة الغربية المعاصرة، فمدننا أقرب إلى الريف من حيث بعض الخصائص مثل العلاقات الاجتماعية، فأغلب الدول العربية والكوردية والإسلامية في الشرق الأوسط ماتزال تعيش تحت تأثير العلاقات الاجتماعية القوية في الريف، وتحمل مظاهر وتقاليد وأعراف اجتماعية قديمة (أسود، ٢٠١١، ص ٩٢) و" لقد ظلت هذه السمات واضحة وفاعلة، الأمر الذي يجعل المدينة الكبيرة عبارة عن تجمعات متجاورة أكثر مما هي مدينة قادرة على استقبال الكثيرين، ثم إعادة خلقهم ضمن منطقها وعلاقاتها، كما تفعل المدن الكبيرة في أوروبا، إذ تحول ساكنها خلال فترة قصيرة إلى واحد من أبنائها، حتى بالقياس إلى مسقط رأسه ! هذه الحالة، بكل ما لها من مظاهر، نرى ما يماثلها، أو يقترب منها، في مدن أخرى كثيرة " (منيف، ٢٠١٢، ص ٣٢). لكن ذلك ليس معيبة وإنما جزء من خصائص هذه المدن، ومن ضمنها مدينة أربيل التي تتواجد فيها علاقات اجتماعية حميمة بين أفراد مجتمعها المتنوع، وهذا جانب من جوانب المدينة المضيئة والمحمودة في ثنائية (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) الروائية، ومن أمثلة ذلك ما نراه في المثال الآتي عبر كاميرا السارد في رواية (هو لير حبيبتي):"تجلو له عبقرية البساطة الهوليرية بأرقى معالمها في أواصر العلاقة الاجتماعية بين هذا المجتمع، ومفهومه لروح العلاقات الإنسانية. عندما بلغت بهم الشدائد ذروتها، لم يبق أمامهم سوى أن يتآزروا ويتحولوا إلى أسرة واحدة تعيش في بيت كبير واحد، شأنهم في ذلك شان منطقة تعرضت لإعصار، فلم يبق أمام سكانها سوى أن يتكاتفوا ويجتمعوا في كتلة بشرية واحدة ليشكلوا قوة يتندوا إليها. كل واحد منهم أصبح عليما بما وقع للآخر، وكل واحد بات على دراية بما ألمّ بالآخر " (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٥)ويعيش الناس في هولير في حالة تآخ حقيقية فيما بينهم، ولقد انعكس التآخي كعامل اجتماعي على أسماء المحال والأماكن وبعض تجمعات الهوليريين الذين أوصلتهم الكوارث الإنسانية المريعة التي شاهدوها إلى قناعة جماعية بأن أي عيب في أي فرد منهم هو عيب لهم جميعاً، وأي ضعف في أحدهم هو ضعف لهم جميعاً، وأي قوة في أحدهم هي قوة لهم جميعاً. واستطاعت هذه المحن أن تجعل أهالي المدينة في حالة تجاوز لمركب الدونية، وعقدة الفوقية، فغدا المجتمع في حالة نرجسية إيجابية عامة، كما لو أنه شخص واحد، وقد بلغوا يقينا بأن لا أحد منهم يمكن أن يكون في معزل عن الآخر، لذلك لايستهزئون ببعضهم البعض، ولايقللون من شأن بعضهم البعض (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٦–٢٤٧) فكل واحد منهم يحترم الآخر، ويقضي له حاجاته كلما تطلب الأمر ويختلف نمط الحياة في هولير مع نمط حياة أهل الريف في أنهم لا يهابون من الغرباء من أمثال النازحين والضيوف، لأن المدينة لها تاريخ قديم مع الغرباء القادمين إليه حتى اشتهرت أصلا في الوسط الاجتماعي بـ(مدينة الغرباء) لهذا نجد أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الهوليري وغيرهم من الغرباء المتمثلين بالنازحين من المدن السورية والعراقية متينة وودية، بحيث يشعرون بأنهم بين أقربائهم. فهناك في الروايتين – موضوع الدراسة– أمثلة عدة توضح لنا نوعية العلاقة بين أهالي المدينة والنازحين، فعلى سبيل المثال في الفصل السادس من (هولير سدرة العشق) تتلقى الشخصية السورية النسوية (آفان) اتصالاً هاتفياً من شخصية نسوية أخرى باسم (كلنار) إذ تخبرها بأنها قامت بتسجيل ابنها (لاوين) في المدرسة بدلا عنها، لأنها (أي آفان) غريبة لا تعرف شيئا من المدينة، ليس هذا فحسب بل تقوم نارين بزيارة عائلية إلى منزل آفان، وقد خصص الكاتب فصلا من الرواية لمجريات العلاقة بين العائلتين اللتين تعرفتا على بعض في

هولير (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٤٧، ١٥٠) ولا ننسى أن وجود المدرسة من الخصائص التي تميز الحياة الحضرية في المدينة إلى جانب المؤسسات التي تنمي الفرد الحر أو النزعة الفردية كالمؤسسات التعليمية والإعلامية والعائلية الحديثة التي تشكل جزءاً مهما من العناصر الحداثية الفاعلة في المدينة التي ترتبط بها الرواية لتبين العلاقات العامة بين الفرد والمؤسسة المجتمعية من جهة، وبين الأفراد أنفسهم من جهة ثانية (أسود، ٢٠١١، ص ٩٥-٩٦) فالمؤسسة عنصر مهم في تجميع أفراد المجتمع المدني وتأسيس علاقات بينهم كالعلاقة التي بنتها المدرسة في أربيل بين كلدار وآفان المغتربة والنازحة التي هربت فزعاً من الحروب الدموية في المدن السورية فلجأت إلى هوليروكذلك تتصف علاقات الصداقة في أربيل بأنها ثابتة وحميمية مثل علاقات الصداقة في الريف، وهذا ما نلحظه في العلاقة التي تجمع بين (كاروان) الذي هو من أهالي أربيل وصديقه السوري النازح الذي تعرف عليه بالصدفة بعد نحو شهر من إقامته في هولير عندما دخل محله الخاص بتصوير الأوراق، وطلب إليه أن يصور له كتابا إلكترونيا من الفلاش إلى الورق وامتنع أن يقبض قيمة التصوير (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٨٨-١٨٩). ثم تتطور العلاقة بين الشخصيتين بحيث يقوم كاروان بزيارة منزل صديقه فيسأله عن أوضاعه ويوبخه بأنه لم يخبره بمرضه، فكلما تتذكر الشخصية السورية صديقه كاروان يحس بفرح، لأنه في مدة قصيرة بنى معه علاقة صداقة حقيقية ثابتة في الغربة، فاستفاد منه مادياً ومعنوياً وذهب معه ليتغنيا في الطبيعة (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢١٣). وتستمر هذه العلاقة بين الشخصيتين بنفس الوتيرة فيحس النازح بقيمة الصداقة وهو يرى كيف أن الصداقة تجعل من شخص غريب كما لو أنه أحد أفراد الأسرة، حينها يدرك كم أن الإنسان يحتاج إلى كل تلك المزايا والروابط الإنسانية والاجتماعية لتغتني بها حياته (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٢٢) يأتي هذا في حين أن العلاقات في المدينة – عموماً– عابرة وفاترة، لأن المدينة متأثرة بالحضرية، حيث تختلف طبيعة وأشكال الصداقات في الحضر عنه في الريف، فالملاحظ أن جماعة الأصدقاء في المجتمع الحضري أكثر تشتتاً واتساعاً من الناحية الجغرافية والمجالية، كما أن تغير مفهوم محلية المجتمع الحضري وفقدانه لارتباطه بالقيم والمعايير والنظم الاجتماعية المتجانسة، أتاح الفرصة لتغيير مفهوم الصداقات التي تجاوزت حدود الجوار المكاني أو القرابي، وهذا يعني ان السياق الاجتماعي والعاطفي الذي تنمو فيه العلاقات الاجتماعية أكثر اتساعاً وتنوعاً في المناطق الحضرية (سمية، ٢٠١٤، ص ١٨٠)، ولهذا يتصف الإنسان في المدن – التي نسبة التحضر فيها عالية– بالمفارقة الديناميكية التي تجعل منه فرداً وحيداً مغترباً ووجها من وجوه الجموع المبهمة، بخلاف الإنسان في المدن العربية والإسلامية التي نسبة التحضر فيها أقل مثل مدينة أربيل التي يذوب الإنسان فيها في جماعة متجانسة وعلاقات اجتماعية قوية، ولايتفرد إلا في حالات نادرة (رؤوف، ٢٠١٧، ص ١٠٧)وفي الرواية نفسها يبدي السائق الهوليري (رزكار) موقفاً مشابهاً إزاء الشخصية الرئيسية النازحة من سوريا، فيخفف عنها أجر نزهة عائلية مشتركة إلى ريف شقلاوة، حيث يبعد عن هولير نحو (٥١ كم)، وهو معتدل الطقس فلهذا يستقطب الناس ليقضوا أوقاتهم فيها خاصة في الصيف. وشقلاوة معروفة بخائصها الريفية المتمثلة في جبالها وطبيعتها الخلابة ودفء العلاقات الاجتماعية وطيبة أهلها (يوسف، ٢٠١٣، ص٢٧٦-٢٧٧). وكذلك العلاقات الاجتماعية بين النازحين القادمين من المدن السورية في (هولير سدرة العشق) قوية فيساعد أحدهما الآخر في الغربة:"خطرت له أفكار عندما اتصل به صديقه سيفان وأخبره بأنه وصل للتو مع عائلته إلى هولير، وقد حصل على رقم هاتفه من أحد الأصدقاء، ويحتاج إلى مساعدته. عندئذ طلب إليه أن يبقى مكانه ريثما يرى طريقة كي يلتقيا، حين أغلق الخط، سرعان ما خطر له /جنكدار/.

– والله هذا وقت مناسب لتساعدني يا صديقي جنكدار. همهم بهذه الجملة وراح يبحث في ذاكرته عن الإسم حتى عثر عليه، وعلى الفور أجرى به الاتصال... فتح الخط، ليسمع صوت جنكدار معتذرا بأنه عندما اتصل، كان يعين أحد الركاب...

– قال: صحيح ياصديقي، أحد معارفي وصل للتو مع عائلته من سورية، أريدك ان تذهب وتجلبه إلى بيتي..بعد نحو ساعة، رأى السيارة تدخل الشارع، وتقف بمحاذاة الباب. تقدم مع زوجته يستقبلهم، كان سيفان برفقة زوجته وابنين صبيين، وأمه العجوز" (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٤٧)يطالعنا هذا المثال بموقف إنساني جميل تبديه شخصية سورية نازحة ومقيمة في أربيل، تجاه صديق قديم له وصل للتو إلى المدينة. وفي تفاصيل الحوارات الدائرة بين الشخصيات النكورة، تلقي الرواية الضوء على ما آل إليه الكورد نتيجة الحرب، وكأن التاريخ الكوردي يعيد نفسه ويتجدد بذات العجلة على رأس كل كارثة تحل بهم، هكذا عندما تتاح الكورد فرصة واحدة كي يتآزروا فيما بينهم لِلَمّ الشمل، تبدر المحاولات والمساعي بقوة كي تفتت قواعد هذا الشمل وتنال منه، فيتم دس السم في صفوة العسل الكوردي. وعندما رأي العالم كله قوة التآزر التي بدرت من شعب مدن إقليم كوردستان تجاه الكورد السوريين الذين أجبرتهم الحرب الفتاكة أن يهجروا ممتلكاتهم وبيوتهم وذكرياتهم وبلادهم وبنية علاقاتهم الاجتماعية كي ينجوا باطفالهم ونسائهم وشيوخهم ويلوذوا بمدن إقليم كوردستان، لم يرق هذا التآزر للبعض الذين أرسلوا أفواجاً من المتسولين إلى الإقليم على حساب اللاجئين أو النازحين الكورد القادمين من سوريا، ذلك ليفسدوا صلة الرحم القوية بين أبناء الجادة الواحدة (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٤٨) ليرسموا صورة سيئة عن الكورد السوريين في ذاكرة المجتمع الهوليري وجميع أفراد مدن إقليم كوردستان بأن النازحين السوريين عالة على المجتمع فيشوهون صورة المدينة بالتسول. غير أن الروائي في (هولير سدرة العشق) سرعان ما يصحح هذه الصورة فيميز النازحين الحقيقيين عن المتسولين المدسوسين، قائلا: تبين لقوات الآسايش (الأمن) فيما بعد أن المتسولين ليسوا لاجئين حقيقيين، لأن نسبة النساء والأطفال والشيوخ من اللاجئين تزيد عن ٨٥ بالمئة، وما تبقى من نسبة الشباب تعمل على الأرض في المناطق الكوردية للنهوض بإقليم كوردستان، فهذا رد للجميل الذي قدمه مواطنو مدن إقليم كوردستان إلى اللاجئين (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٥٠)ويؤكد السارد في (هولير حبيبتي) أيضاً على أن الكورد في روجافا (الجناح الغربي لكوردستان) أو كوردستان سوريا أغنياء في المال والحرفة والطب والقانون والسياسة والغنى والأدب والهندسة والعمارة والتكنولوجيا. إنهم يبنون ويزرعون ويحصدون وينعشون تربية الثروة الحيوانية، ويدرسون في الجامعات ويديرون المشافي والعيادات والمشاريع الهندسية ودوائر القضاء والإعلام. فإقليم كوردستان يحتاج إلى مهاراتهم، وهذه هي فرصته الوحيدة للاستفادة من هذه المهارات، لأنهم عندما تضع الحرب أوزارها سيرجحون فكرة العودة إلى ديارهم (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٩٩-٢٠٠) ونلمس في ثنائية (هولير حبيبتي) و(هولير سدرة العشق) علاقتين أخريين، وهما: علاقة أهل المدينة بمدينتهم، وعلاقة الأديب بالمدينة، وكلتا العلاقتين مبنيتان على الحب، فعندما نتأمل في العلاقة الأولى نجد أنها عامل وحدة أهل المدينة، فلا أحد في هولير لا يحب هولير، يمكن للهوليريين

أن يختلفوا ويتشنتوا في كل أمر، بيد أنهم عند حب هولير يلتقون من كل حدب وصوب، ويقعدون على موقف رجل واحد (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٢٨). وهم يشعرون بالمسؤولية تجاه مدينتهم التي تظهر للرائي نظيفة بفضل هذا الشعور، وبرهاننا على ذلك هذا المثال:"توقفت قمناه عندما رأي عبوة فارغة في منتصف الطريق، انتظر حتى خلا الطريق من السيارات، وراح يحملها، ويضعها في حاوية. حتى أن "سيروان" عندما أراد أن يبول، نهاه عن فعل ذلك في زقاق، وأخذه إلى مراحيض أحد الجوامع القريبة. حينما خطر له أنه لم ير أحداً يتبوّل في الأزقة، لم تقع عيناه على شخص قط يقف وهو يتبوّل على حائط في خلاء كما كان المنظر يتكرر أمام ناظريه في أماكن عديدة. أدرك أن ذلك يمس وتراً من منظومة الحياء الاجتماعي العام لكينونة المجتمع، فباتوا يعدّون ذلك خدشاً لحياء الهوليريين العام تجاه أنفسهم، ثم تجاه بعضهم البعض، ثم تجاه ضيوف وزوار هولير في حالة حياء وغيرة على هيبة مدينتهم. كما أن المرء لا يفعل ذلك على جدران بيته، ويتجه إلى بيت الخلاء، فإنه كذلك لا يفعلها على جدران مدينته ويتجه إلى مراحيضها. لفتت نظره أناقة المراحيض وتمتعها بكل التقنيات الحديثة، وأنه لم يجد أشخاصاً يقفون على أبواب هذه المراحيض لتحصيل أجرة الخلاء كما كان يرى في أماكن عديدة. بحلول المساء يأتي عمال النظافة الذين هم على الأغلب من سريلانكا، أو بنغلاديش، ببشراتهم السمراء، وبزاتهم البرتقالية، يقومون بتنظيف الأسواق والطرقات، ويحققون رواتب جيدة لعائلاتهم التي تأتي معهم للعيش حيث يعلمون، فيرى النساء السمراوات وهن يتجولن ويتسوقن ويقمن في بيوت المدينة " (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٧– ٢٤٨)يرينا هذا المثال أن هناك علاقة حب بين أربيل وأبنائها، والحب أول الفضائل عند أفلاطون، فهو يعوّد الإنسان على رابطة الصداقة مع غيره، ويجعله متميزاً عن أقرانه بقيم نبيلة هي مفتاح تحقيق الفضائل الخلقية، ولا سيما أن العلاقة بين بني البشر ليست قائمة على أساس طبيعي عضوي، وإنما على أساس القيم الأخلاقية وفي مقدمتها المحبة (الحسن، ٢٠٠٩، ص ٢٧). ومن مظاهر حب هوليريين لمدينتهم حرصهم الشديد على نظافتها. ويتضح في المثال أن العادات والتقاليد والأعراف القديمة والآداب العامة الموجودة في المدن الإسلامية الشرقية مازالت تتحكم في بنية المجتمع الأربيلي المحافظ والحريص على احترام الضيف والأقرباء ومراعاة الحياء الاجتماعي (يوسف،٢٠١٣، ص ١٨٩) بينما المجتمع الحضري في المدينة بعيد عن التمسك بالأعراف والعادات والتقاليد، وحتى عن الروابط القرابية (هداجي، ٢٠٢٣، ص ٤٧). وقد تكرر ذكر ذلك في أمثلة أخرى من الروايتين كما تم تجسيده في حوار من (هولير حبيبتي) إذ يدور بين شخصية هوليرية وأحد الضيوف (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٨٩). وتذكر أربيل في (هولير سدرة العشق) أن أبناءها تعلموا منها هذه الآداب قائلة:" هذه تقاليدي التي دأب عليها أهلي، أينما وطأت بهم أقدامهم، فإنهم يشعرون بحياء جم مني، علّمتهم بأن الإنسان كائن مجبول من عجينة مسك الأدب" (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٤١)ونستنبط من طبيعة العلاقة بين أربيل وأبنائها أن حبهما متبادل بين الطرفين، فهولير تحب أبناءها بالقدر الذي يحبونها، وتؤثر فيهم مثلما يؤثرون فيها، ويقول السارد في (هولير سدرة العشق) أن هولير استطاعت أن تبسط نفحات حفرياتها على خلايا سكنتها ليسموا هوليريين (يوسف، ٢٠١٥، ص ٩). وتعترف أربيل في (هولير حبيبتي) بأنها أيضاً تتأثر نفسياً بأبنائها، فهي تذبل عندما تكون بعيدة عن رائحتهم (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨٧–٢٨٨). إذن هناك علاقات وتأثيرات متبادلة وانسجام بين المدينة وسكانها، وتتوثق العلاقة عن طريق الدور الذي يلعبه كل من شقي العلاقة (الضبع، ٢٠١٨، ص ٤٧) فالمدينة بوصفها مكانا يعكس حضارة الإنسان وثقافته وإنجازاته، والإنسان يسقط المعنى على المكان/ المدينة (الموسى، ٢٠٠٩، ص ٤٠) أما العلاقة الثانية، أي علاقة الأديب بالمدينة/ هولير فهي علاقة حب إيجابية، ولكن يغلب الطابع السلبي على علاقة الروائي بالمدن السورية التي هرب منها. وأبسط دليل على العلاقة الإيجابية هو عنوانا الثنائيتين الروائيتين (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) اللذان يعبران عن علاقة حب عفيف مفعم بالإيجابية والراحة والشوق بين الأديب والمدينة، فلو دخلنا من باب العنوان إلى عالم الروايتين لوجدنا أمثلة عديدة تروي قصة الحب بين الأديب والمدينة المؤنسنة التي تتمظهر في شكل امراة، كما في المثال التالي من(هولير سدرة العشق)، حيث تتعامل هولير كإنسانة مع حبيبها الأديب/ عبد الباقي يوسف، المتواري وراء الشخصية الرئيسة: "طال شوقه إلى هولير العظيمة، داهمه أحياناً شعور مرير بأنها سلته، طاف شوارعها، وقف أمام القلعة على جبال الشوق الفائض علّها تطل برأسها من نافذة وتناديه، ثم يعود إلى البيت متلهفا لرؤيتها كما خرج. بدأ ينظر إليها ذرة ذرة، ينظر والدموع تنهمر من عينيه. مدّت أناملها، وأخذت تمسح دموع الشوق، أشر بأنها تريحني، تخفف عني قليلاً من لهب التوق. قالت بيدو أنني تأخرتُ عليك. رفع عينيه الممتلئتين بالدموع ينظر إلى مصحف وجهها: تأخرتِ كثيراً يا حياتي...توقع أنك ستأتين في عيد الفطر " (يوسف، ٢٠١٥، ص١٣٣)بيدو في هذا المثال أن موقف الأديب عبد الباقي يوسف من المدينة إيجابي، فهو يحب هولير لدرجة يصعب عليه تحمل فراقها، وهذا الموقف يختلف عن مواقف الكتاب الذين يعتبرون المدينة مكاناً مثالياً لأعمالهم ولكنهم مع ذلك يقدمون عنها صورة سلبية لها في كتاباتهم باستمرار، مما يشير إلى أن المدينة تعاني مشكلة في أدب هؤلاء (AKANDE,2017 , p 2) وأدب معظم أدباء العرب الذين اعتادوا على أن يعبروا عن غربتهم وقلقهم وضياعهم في المدينة وتضايقهم منها محاكاةً لأدباء الغرب حين يضيقون ذرعا بتعقيدات الحضارة الحديثة التي تمثلها المدينة (عباس، ١٩٧٩، ص ٨٨) التي تمثل مكانا لخيبة الأمل وفساد الأخلاق، فنقرأ في رواياتهم أن الشاب الذي يدخل المدينة، يجب أن يغادرها، أو يرجع إلى الريف، حيث يداوى جراحه، ويكوى كبريائه ويكافح لتجديد أخلاق لأن المدينة تفسد أخلاق الشباب، فمثلا مدينة لندن في (أوليفر تويست) مكان للإرهاب، فعلى البطل الشاب أن ينقذ نفسه منها. هذا فضلا عن أنهم صوروا العلاقات الاجتماعية في أدبهم بأنها تفتقر إلى الدفء، فحتى الرجال الذين يعيشون في المدينة غالباً ما يحنون إلى الماضي. ومازال الهجوم الرومانسي للروائيين على المدينة مستمراً، ولكن هجومهم على المدينة مجرد عاطفة أو حنين إلى الماضي، ويخافون من أن يؤدي نمو الحضارة المدنية إلى انتهاك التوازن بين الإنسان والكون (Howe, 1971) غير أننا لا نجد هذا الخوف عند الأديب عبد الباقي يوسف في روايتيه عن الحديث عن مدينة أربيل، وهو يدرك تماما أن خصائص هولير كمدينة إسلامية شرقية تختلف عن المدن الأوروبية. ولايختلف موقف الكاتب من مدينة دهوك عن موقفه من هولير، فعندما ترى الشخصية الرئيسية في رواية (هولير حبيبتي) مدينة دهوك للوهلة الأولى ينصدم بجمالها، تبدو له متلألئة بالجبال التي تزدان بها. ثم يعمد إلى إظهار الهوية الكوردية لهذه المدينة أيضا فيصفها بأنها كانت مزينة بالكتابات الكوردية التي يشهدها أول مرة على واجهات المؤسسات والمحال والطرقات. وحتى موقفه السلبي من المدن السورية مؤقت، وهو من تداعيات تردي الأوضاع السياسية والأمنية بعد مايسمى بالربيع العربي (يوسف، ٢٠١٣، ص ٣٦)وليس الهوليريون والأديب عبد الباقي يوسف – الذي تمثله الشخصية الرئيسة – يحبون

مدينة أربيل إلى هذا الحد فحسب، وإنما عشقها الملوك، فعلى سبيل المثال يقول سارد (هولير حبيبتي) أنه كان الملك الآشوري (آشور بانيبال) لم يكن يشم رائحة الحياة إلا في أربيل، وكان يدلعها بـ(أربائيلو) وكان في ذلك شبيها بالملك الآشوري الرقيق (دان الثالث). وعندما كان الآشوريون يريدون الذهاب إلى حملاتهم العسكرية، يحجون أربيل ويطلبون مرضاتها، ثم ينطلقون إلى تحقيق المغانم وسعة الملك (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٧٦). وكذلك عشق الملك السومري (شوليكي) مدينة أربيل، فذات مرة قبل (٢٠٠٠) من ميلاد المسيح، خاطب هولير قائلاً: أفتخر بأن تكون من أكثر أملاك سومر عامراً بالحياة والجمال، يومها استأذن المدينة ليدلعها باسم (أوربيليوم) وكان ذاك الإسم من أحب الأسماء إليه. وقد أصبحت أربيل مدينة محسودة من قبل مدن العالم، لأنه تهافت ملوك وأباطرة وسلاطين الأرض لإشادة عروشهم في رحابها (يوسف،٢٠١٣، ص١٠٠). وكذلك تنافست وتبارت الأقوام الزاكروسية من ميديين وكوتيين وأورارتو وخوريين وكاشيين وميتانيين فيما بينهم لجعل هولير أكثر مدن الأرض تمتعا بمنزلة رفيعة ونفوذ سياسي وإداري ومالي. كما تنافسوا لجعلها أكثر المدن جمالاً (يوسف، ٢٠١٣، ص١٠٠) فمنذ ذلك الحين يعد الجمال خاصية من خصائص أربيل. ومن طبيعة هولير أنها لا تفصح عن جماليها إلا رويداً رويداً، وكلما أتى يوم جديد، أفصحت له عن لمسة جديدة (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨١). فلما تراها لأول مرة تريك ألوان ثوبها الأثير والملون بألوان علم كوردستان (الأحمر، الأخضر، الأبيض والأصفر) التي تحبها المدينة وتتزين بها (يوسف، ٢٠١٣، ٢٨٦). ومن خصائص أربيل أيضاً هو أنها اشتهرت بمدينة السلام، ولأهمية السلام في حياتهم، نصب الهوليريون تمثال حمامة رامزة إليه في وسط السوق المركزي، والتمثال من المعايير التي تميز المدينة، وكذلك تزدان حدائق المدينة وبيوتها وطرقاتها وأسواقها بطيور الحمام، وهذا يرمز إلى حجم قوة السلام الذي يتطلع إليه سكان المدينة (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٥٩-١٦٠). وكذلك تتسم أربيل في (هولير حبيبتي) بأنها متفائلة، وتفاؤلها ينبع من قوة ما تؤمن بها من سطوع الحقيقة (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨٨) والتفاؤل برأي سارد (هولير سدرة العشق) يتكامل بمقدار ما يكنه بعضنا من الحب لبعض (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢١٢).وخاصية أخرى من خصائص أربيل في (هولير حبيبتي) هي وجود تناقضات في النظام الاجتماعي التي لابد أن يكشفها العمل الأدبي (سلدرن، ١٩٩٦، ص ٥٠) فالمدينة كما يقول مانويل كاستيل أستاذ التخطيط العمراني بجامعة كاليفورنيا، هي مكان للتناقضات وإطار تنظيمي وممارسة اجتماعية (عبدالرؤوف، ٢٠١٧، ص ١٣). ومدينة هولير مثل مثيلاتها من المدن تجمع بين التناقضات، وهذا ما نشاهده في (هولير حبيبتي) حيث يشير السارد إلى أن هوليرلا تسمح لغزو موجات الحداثة أن تجتاحها، وتقتلعها من جذورها، تستقبل حداثة العالم، وهي متجذرة في عراقتها، لذلك جمالية البيوت الكلاسيكية والأبواب والنوافذ الكلاسيكية، حتى الأبنية الحديثة تزاعي حساسية هولير المعمارية، حيث تحتل الحدائق، ونوافير المياه وبقع الأرض المغروسة بالورود مساحات جيدة، لأن هولير – على خلاف المدن الأخرى- تتحسس من ناطحات السحاب، والضجيج وازدحام البيوت (يوسف،٢٠١٣، ص١٢٩) فالمدينة تجمع مابين التراث والمعاصرة، وقد نجحت في التوفيق بين إرثها الحضاري والإنساني وبين ثورة الملتي ميديا التي اجتاحت كل أركان العالم. وحتى محلات بيع الخمور قليلة في أربيل، فالناس لا يشربون في بيوتهم، بل يذهبون، وهذا من دواعي إعجاب إحدى الشخصيات النازحة، إذ تقارن في (هولير حبيبتي) بين أربيل ومدن أخرى من خلال هذا الحوار المباشر والدائر بينها وبين صديقها الأربيلي (كاروان) معتمدة على الذاكرة وموظفة تقنية الاسترجاع:" تتكر تلك المشاهد وهو يرى أنواع الكحول الفاخرة على الموائد، وهي المرة الأولى التي يرى فيها كحولا في أحد مطاعم هولير ... ضحك وقال: لا أخفيك بأنني أحيانا أشعر بأنني في باريس، وأحيانا يعتريني شعور بأنني في أفغانستان. ضحك هو الآخر: هذه هي ميزة هولير كاكة، إنها تجمع بين التراث والمعاصرة...عندما أريد أن أشرب قليلا... أذهب إلى ((عنكاوة)) لأن هذه الناحية تسكنها أغلبية مسيحية " (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٠٧- ٢٠٨)يبرز هذا النص التناقض بين وجهين للمدينة، وجه شرقي وإسلامي شبيه بوجه مدينة (كابول) المحافظ، ووجه غربي متحرر شبيه بوجه مدينة النور (باريس)، ونقرأ من الوجهين أن أربيل تتصالح بين وعي تقليدي يحافظ على القديم، ووعي حداثي ساعٍ إلى التأقلم مع الجديد (بنطاني،٢٠٢٠، ص ٩٠). وفي مثال آخر، وعند دخول حديقة من حدائق أربيل والانتقال بين أرجائها من مكان لآخر، يشعر طبيب سوري نازح بأنه في مدينة أوروبية، فكل ركن من أركان الحديقة جاء بشكل متقن ومدروس (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٦٧)ويعد الأمن الاجتماعي من خصائص أربيل البارزة، وقد كان معنى الأمان والحماية من المعاني التي ارتبطت بالمدينة، فسعى تخطيط المدينة القديمة إلى تأكيد هذا المعنى إزاء الغزو المحتمل من خارجها في سياق الحروب المتناحرة في فترات تاريخية عدة وبهدف تثبيت السلطة المركزية في المدينة والدولة، فضلاً عن السعي إلى تاكيد هذا المعنى في مواجهة قوى الطبيعة؛ لذلك كانت التحصينات والقلاع والأسوار المزدوجة التي تحيط بالمدينة جزءا أساسياً من تكوينها ومن بلورة دلالة الحد الفاصل بين الحياة داخل المدينة والحياة خارجها. ورغم الاهتمام بتحصينات هذه الأسوار التي قصد بها تدعيم سلطة الحاكم وإتمام سيطرته على الشعب، فإن الأسوار من ناحية أخرى أشاعت نوعاً من الاطمئنان لدى ساكن المدينة، وتحول هذا الاطمئنان بدوره إلى شرط أو مبرر لاستمرار السلطة المدنية نفسها. وتأسيساً على هذا المعنى، تم الربط بين المدينة والأم انطلاقا من دلالات (الإحاطة) و (الحماية) و (الاطمئنان) الممتدة بينهما (حمودة، ٢٠٠٠، ص ٦٧). وهناك في أربيل قلعة حصينة وفرت الخاصية الأمنية لسكانها، وأبعدت عنهم شرّ الأعداء الطامعين مثل أطماع المغول أو التتر الذين هجموا على المدينة كما نراه في هذا المثال المقتبس من (هولير حبيبتي):"وتضحك هولير بقهقهة هذه المرة، تطول بها قهقتها العذبة وهي تروي له ما يخطر ببالها مما رأت: لكنني وكما اعتدتُ على أطماع الجبابرة، رأيتني مرة أخرى في دائرة الجيوش والحروب عندما أغريتُ هولاكو الذي بدأ نجمه في الظهور، يومها قال لي: لو ملكتُ العالم كله، ولم أملككِ ياسيدتي، كأنني لم أملك شيئا، لتعلمي بأن الأرض كلها صحراء خالية دونك، أنت ربيع الأرض، وجوهرة مدن التاريخ. قاومه أهلي ستة أشهر وهم يتحصنون بقلعتي، لكنه كان يزداد عناداً وتهوراً، ويقدم التضحية بكل ما يملك من أجل أن يحتلني ويقيم مدينة آمنة له في رحابي " (يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٦)وما جعل أربيل مطمع الجبابرة على مر التاريخ موقعها الاستراتيجي بين الزابين – الزاب الكبير والزاب الصغير– اللذين يغذيان نهر دجلة في العراق– خاصيتها الأمنية المتمثلة في قلعتها المشهورة التي قامت بدور بطولي أمني في حماية أهالي هولير سيما في أيام هجوم القائد المغول أو التتر. وأشادت المصادر التاريخية بهذا الدور، فقد قال (القزويني) عن المدينة وقلعتها " إرْبِل مدينة بين الزابين، لها قلعة حصينة لم يظفر بها التتر، مع أنّهم ما فاتهم شيء من القلاع

والحصون، بها مسجد يسمّى مسجد الكفّ، فيه حجر عليه أثر كفّ إنسان..ينسب إليها الملك مظفر الدين كُوكُوبري بن زين الدين علي الصغير... كان ملكاً شجاعاً غازياً، له نكايات في الفرنج يتحدث الناس بها، وكان معتقداً في أهل التصوف" (ب.ت ، ص ٢٩٠). ولقد كان لانتماء السلطان مظفر الدين للتصوف دور فاعل في بناء ونشر ثقافة التعايش في أربيل، كما أن شجاعته أبعدت المدينة عن بطش الطامعين. وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أنه استقر في أذهان معظم الناس بمن فيهم كاتب (هولير حبيبتي)، أن هولاكو بنفسه هاجم مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري، بينما الصحيح أن الهجوم حصل بقيادة القائد المغولي (جرماغون) بعد موت السلطان، في شوال سنة ٦٣٤هـ مقابل حزيران ١٢٣٧م، وفي عهد (أبي المظفر شمس الدين باتكين) الذي تولى أمر المدينة نيابة عن الخليفة (المستنصر بالله) العباسي (حسين، ٢٠١٤، ص ٢٢١-٢٢٢)ومازالت هولير تحتفظ بثقافتها المتعايشة وخاصيتها الأمنية، وينقسم الأمن فيها إلى نوعين وهما: (الأمن الغذائي) و(الأمن السياسي) اللذين شخصناها في الروايتين. تناولت (هولير حبيبتي) الأمن الغذائي عند الحديث عن عادة الهوليريين في تناول الطعام التي تختلف عن المدن الأخرى، وهذه العادة – هي الأخرى- تعد من خصائص المدينة، فالهوليريون يتناولون الإفطار في التاسعة صباحاً، والغداء في الثانية والنصف، والعشاء في العاشرة ليلاً. والطعام يتكرهم بالغلاء، وبسنة الثلج الكبير الذي يسمى بـ(بيوك قار) حينما تواصل سقوط الثلج في هولير أربعين يوما، حتى امتلأت البيوت، فاضطر الناس لترك بيوتهم. وعندما وقعت هزة أرضية، هرب الناس من منازلهم، حتى أصبحوا جميعاً في العراء دون مأوى. وأخذ الأربيليون دروساً من هاتين المصيبتين، فتعلموا كيف يخزنون مؤنة كثيرة في البيوت خوفاً من المجهول في المستقبل، واحتساباً للطوارىء. ولقد أفادهم هذا عندما تعرض العراق للحصار الإقتصادي، حينها استخدموا ماخزنوه من مؤنة، فهكذا وعبر السنوات يتشكل لديهم هاجس عدم الثقة بالغد الذي يبدو قاتماً وضبابياً ومجهولاً بالنسبة إليهم، إذ لا ضمان فيما لو لبث المرء جائعاً (يوسف،٢٠١٣، ص ١٢٩، ٢٢٥-٢٢٦). أما الأمن السياسي، فمذكور في مواضع من الروايتين كما نلفيه في (هولير حبيبتي) من خلال هذا الحوار الدائر بين سائق من سكان دهوك، وأحد النازحين السوريين:" سأله إن كان من اليسر الحصول على بيت أجرة ؟ قال بأنه من سكان دهوك، ويأتي إلى هولير مصادفة بطلبيات خاصة، لكن بشكل عام هناك أزمة بيوت في كل الإقليم بسبب توافد الناس عليه من مدن العراق بحثا عن الأمن، الأمر الذي تسبب في ارتفاع باهض في أسعار البيوت شراءً، أو إيجاراً..نزوح إخواننا الكورد في الفترة الأخيرة من روش آفا، سورية أسهم في ارتفاع الأسعار، لأنهم أقاموا في المدن بسبب طبيعة أعمالهم... تُقام مشاريع إقامة الضواحي السكنية... الأمان في الإقليم بدأ يستقطب كبار رجال الأعمال في العالم كي يستثمروا فيها، لذلك كثرت المظاهر السياحية عندنا، وتضاعفت أعداد الفنادق" (يوسف، ٢٠١٣، ص ٥٧).نستقرىء من هذا المقطع أن مدن إقليم كوردستان – وعلى رأسها هولير- مدينة جاذبة للمستثمرين والنازحين السوريين والعراقيين، بينما المدن السورية والمدن العراقية طاردة لسكانها، وذلك راجع إلى أسباب عدة مثل: استتباب الأمن في مدن الإقليم، وجود الحرب في المدن السورية والعراقية بين قوات الدولتين والميليشيات والتنظيمات المتطرفة التي ظهرت فيما بعد ما يسمى بالربيع العربي. وقد أثرت الحرب والهجرة في تغيير ديموغرافية المدن وازدياد أسعار البيوت، غير أن حكومة كوردستان لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذا الزخم الهائل من النازحين، وإنما بدأت بتوسيع المدن بمساعدة رجال الأعمال المحليين والأجانب وبنت مخيمات للنازحين القادمين من المدن السورية غير الآمنة مثل مدينة قامشلو، ثم تحولت شتات المخيم إلى ملتقى كبير لأصحاب الهم الواحد الذين ربطتهم علاقات اجتماعية قوية، فمن لم يستطع استئجار بيت في المدينة، أقام في المخيمات (يوسف، ٢٠١٣، ص ٤٢). وتوجد في الروايتين أمثلة أخرى عن الجانب الأمني في المدينة، ففي الرواية السابقة يقول مواطن من مواطني مدن الإقليم أن الانفلات الأمني أكثر صعوبة من الحرب، لأنه في حالة فقدان الأمن يصبح كل شيء مستباحاً، ثم يستذكر ما مرت به مدن كوردستان من قبل، وكذلك يشير إلى تحول سوريا من دولة جميلة وغير مكلفة من ناحية الحياة إلى دولة تعاني من الحرب والويلات وعدم الاستقرار (يوسف، ٢٠١٣، ص١٤٢) مثلما يصفها النازح السوري (سيفان) في (سدرة العشق) إلى المسرود له (جنكدار) في هذا المقطع: " قال له سيفان الذي كان يعمل مديراً لمدرسة ابتدائية: منذ نحو أربع سنوات ياصديقي ونحن نعيش يوميات الرعب، ننام على وقع الرعب، نستيقظ على وقع الرعب، لاشيء في حياتنا يفوق الرعب...ومانزال ننتظر عودة الهدوء، ولم يعد". (يوسف، ٢٠١٥، ص ٢٥٦).وعند تناول القصف على المدن السورية، يقول السارد أنه ليست هناك نكسة تقع على الإنسان من فقدان الشعور بالأمان (يوسف، ٢٠١٥، ص ٣٢٢). وليس هناك أسوأ وأكثر روعاً من الفوضى الأمنية في مجتمع يسوده الجهل، عند ذاك تسود لغة الافتراس في أقسى وأعلى درجاتها مثلما حصل في المدن السورية (يوسف، ٢٠١٥، ص ٣٥٧).وفي (سدرة العشق) أيضا تشير الشخصية الثانوية (آوات) إلى اشتداد الأوضاع الأمنية في مدينة (الأنبار) وغيرها من المدن العراقية التي يلوذ سكانها بإقليم كوردستان الذي يستقبل النازحين بحفاوة. ثم تسترجع زوجته (كلنار) إلى الماضي لتسرد قصة كارثة قصف مدينتها (حلبجة) بالأسلحة الكيمياوية في ١٦/ ٣/ ١٩٨٨، حيث كانت ترى كيف أن الطيور تتساقط من السماء، تنتفض للحظات، ثم تموت نتيجة استنشاقها للغازات السامة. وقد أدت قصف المدينة إلى الإخلال بالأمن، فاتجهت آفان مع عائلتها إلى إيران كبقية الناس، فهنالك تعرفت على زوجتها (آوات) الذي كان هو الآخر نازحاً من مدينة دهوك، وفي ذروة تلك المعاناة تهجر حب عظيم بينهما، فبدأت قصة علاقتهما الزوجية والروحية، واكتشفا أن كل لحظة ألم كانت تمر بهما، تزيد رابطة علاقتهما متانة حتى ألفيا كالجبل الذي يبقى شامخا، يتصدى لكل ما يمكن أن يتعرض له من عواصف (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٥٣-١٥٧).تبينت لنا من خلال الأمثلة السابقة أن أربيل كانت منذ القدم وإلى يومنا هذا مدينة آمنة، وإن سرّ الأمان المحقق فيها قلعتها الحصينة وإحساس أهلها بالمسؤولية وحذر أهل المدينة الشديد، فكل شخص هوليري ينتابه إحساس بأنه رجل أمن، وأن مهمته حراسة مدينته تقع على عاتقه (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٢٦) ولم ينعم أهل المدينة بهذا الأمان فحسب، بل عاش في ظله الغرباء مثل النازحين والضيوف وغيرهم بهوء، والهدوء – بدوره- خاصية أخرى من خصائص أربيل التي تم التطرق إليها في مواضع عدة، منها هذا المثال المقتبس من (هولير حبيبتي): " هولير مدينة هادئة، يمكن للمرء ان يقضي فيها وقتا هادئا، إنها تحفل بكل مقومات الراحة والاستقرار" (يوسف، ٢٠١٣، ص٢٦٦).والهدوء في أربيل ثمرة سنوات من التعلم من حكمة الحكيم وطيش الطائش، فالمدينة – كما ورد في رواية (هولير حبيبتي)- تؤمن بأن العاصفة مهما بلغت من شدتها فإنها تركن إلى الهدوء؛ لأن الأصل في الحياة الهدوء والسكون، أما الشدة والضوضاء فهما طارئتان، هذه هي فلسفة الهدوء التي تعلمها الهوليريون من مدينتهم، لذلك يعيشون حالة هدنة مع الحياة برمتها (يوسف،٢٠١٣، ص ٢٩١-٢٩٢،

٢٠٠). وهكذا بدت المدينة لأحد النازحين، إذ يقول: عندما تتجاوز الساعة التاسعة مساء، يفترش الليل ثنايا الطرقات المزدانة بالمصابيح. (يوسف،٢٠١٣، ص ٢٠١) وإلى جانب خاصية الهدوء، تتميز أربيل في رواية (هولير حبيبتي) بالحراك الاجتماعي والحيوية، فليس في عرف هذه المدينة مكان للمترهلين والقاعسين والعاطلين عن العمل، إنها مدينة الحراك المستمر، مدينة التألق التي لا ترضى بضيم. تحث أبناءها كي يزدادوا قوة، وكلما ارتقوا إلى مفاعل القوة، كلما بلغوها، كلما خاروا إلى مفاصل الوهن، كلما تلاشت من ظهرانيهم كخيط دخان (يوسف، ٢٠١٣، ص ١١٨). ولكن على عكس هولير، لاتتصف مدينة زاخو بالحراك، ذلك بسبب استضعاف نهرها (نهر خابور) وتراكم القمامة التي استضعفتها واستوطنتها واستقوت عليها. بينما في الماضي كان النهر يتدفق بألق ويمد المدينة والقرى المجاورة كلها بالحيوية والنشاط (يوسف، ٢٠١٣، ص ٣١٩)ومن الخصائص المميزة لمدينة دهوك وأربيل قوة الأواصر الانسانية بين أهاليها والغرباء، وثمة أمثلة في الروايتين تتناول مواقف إنسانية رائعة تجاه الآخر النازح، فمثلا في رواية (هولير حبيبتي) يقول السارد: لدغ عقرب طفلا في خيمة للنازحين، في وقت كان عقرب الساعة يشير إلى الثانية ليلا، وكان يبلغ الطفل من العمر خمس سنوات، فاتصلت أمه بهاتف مسؤول في أحد الأحزاب الكوردية السورية، ولكنه لم يرد. ولكن تبرع سائق تكسي من دهوك لعلاجه على نفقته، واخذه بسيارته عندما علم بأمره (يوسف،٢٠١٣، ص ٤٥). وفي الرواية نفسها، يعرض السارد موقفا إنسانيا آخر لسائق سيارة أخرى من أهالي مدينة دهوك مع عائلة سورية نازحة " في الطريق طلب من السائق أن ياخذهم إلى فندق كي يبيتوا الليلة فيه، لكن السائق قال بأنه سيستقبلهم في بيته بدلا عن الفندق، فهم ضيوف وعليه ألاّ يحرمه من قيامه بواجبه نحوهم " (يوسف، ٢٠١٣، ص ٤٧). وعندما تصل العائلة إلى أربيل، لن يقصر أهالي المدينة في تقديم المساعدات الإنسانية اللازمة لهم بدءاً بصاحب المكتب العقاري – الذي يجد لهم بيتاً مناسباً– ومروراً بصاحب البيت وانتهاءً بالجيران الذين يقدمونهم الحاجات المنزلية كلها طالبين من رئيس العائلة ألايكلف نفسه عناء شراء أي حاجة، وهذا ما أثار مشاعر الدهشة عنده وعند زوجته، فحينما ينهضان في الصباح، لا يشعران بأي نقص في البيت، وينتابهما شعور بأنهما يقيمان في بيتهما. (يوسف، ٢٠١٣، ص ٦٦– ٧٣، ١٠٨، ٢٩٠) .

وإن غلبة النظرة الإنسانية لدى الهوليريين جعلتهم يعبرون الانتماء القومي والطائفي والمذهبي في التعامل مع الآخرين، فالإنسان عندهم يأتي أولا، إن فكرة إلحاق الأذى بالآخرين بالنسبة إليهم هي فكرة مقيتة، إنهم ينعمون بوسطية الإسلام، ووسطية الانفتاح على الإنسان في كافة أرجاء العالم التي تحقق لهم بهجة الاستمتاع بممارسة ألق الإنسانية والإرتقاء في مدارجها (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٤٣– ٢٤٦).وفي (هولير سدرة العشق) يذكر السارد نوعاً آخر من الانفتاح في أربيل على الآخر وهو (الانفتاح اللغوي) فبينما لا توجد في دول مجاورة مدرسة كوردية، بل يكون نشر مطبوعات كوردية محظوراً بما يمكن أن يمس الخطوط الحمراء التي قد توصل الشخص الذي يقدم عليها إلى السجن المؤبد بتهمة الخيانة العظمي، لكن اللافت في هولير وفي كوردستان عموماً، فتح مدارس عربية احتراما لهؤلاء النازحين الذين يعيشون بين ظهرانيهم مقيمين او عاملين دون أن ينظر إلى الامر بالمثل. والأمر الآخر الذي يلفت النظر في الحالة الثقافية المنفتحة على اللغة العربية التي يعيشها مدن إقليم كوردستان، هو تخصيص دروس عربية في مناهج المدارس الكوردية (يوسف، ٢٠١٥، ١٥١) وبذلك تتميز مدن الإقليم بالتنوع اللغوي، وعلى رأسها مدينة أربيل التي تجيد لغات العالم، إلا أنها تصر على لغتها الكوردية المزدانة بألق اللهجة السورانية تأكيدا على هويتها (يوسف، ٢٠١٣، ص ٩٠)وهناك في (هولير سدرة العشق) فنان كوردي من مدينة زاخو في إقليم كوردستان يفوز بجائزة في مسابقة عربية في الخط العربي، إذ أقيمت داخل المملكة العربية السعودية (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٥٢). (يوسف، ٢٠١٣، ص ١٥٠). ويبدو في الروايتين أن العلاقة بين الرجل والمرأة حضرية، فتحضى المرأة في المجتمع الهوليري بمكانة خاصة، فورد في (هولير حبيبتي) أن قيادة المرأة للسيارة أصبحت ظاهرة لا نظير لها في مدن كثيرة. ومما لاحظته الشخصية الرئيسة في المدينة أن النساء الهوليريات رغم عيشهن في مدينة محافظة، إلا أنهن يمارسن حريتهن في الخروج من المنزل لشراء الحاجات، فيخرجن باكراً من أبواب بيوتهن، يحملن بأيديهن حقائب صغيرة محشوة بنقود ورقية، يبتعن حاجات يومهن من حوانيت مجاورة، هذا بالإضافة إلى أن المرأة الهوليرية انخرطت في غالبية مجالات العمل لتساعد زوجها في تكوين البيت وتربية الأولاد، والرجل لم يتشدد في هذه المسألة، بل ترك لها حرية ممارسة أعمالها التي تقدر عليها (يوسف، ٢٠١٣، ص ٨، ١٩٧) فلا تجبرها على أن تسكن في البيت وتتشغل بالأعمال المنزلية، وهذا ما يبرهن على انفتاح عقلية الرجل الأربيلي، الذي يعرف أن المرأة تكمل النصف الآخر للرجل فيقوم بتقسيم العمل معها، وإن تقسيم العمل من خصائص المدن المعاصرة، وهو ليس ظاهرة اقتصادية محظة فحسب، بل يعد المصدر الأساسي، إن لم يكن الوحيد، للتعاون الاجتماعي، لذلك فإن توزيع مختلف الأعمال الانسانية هو الذي ينشىء بالدرجة الأولى ذلك التآزر الاجتماعي، والذي يصبح السبب الأساس في امتداد الجهاز العضوي الاجتماعي، وتعقده المتزايد، ولئن صح هذا الافتراض، فإن تقسيم العمل قد يمثل دوراً أهم بكثير مما يعزى إليه عادة (دوركهايم، ١٩٨٢، ص ٧٨–٧٩) في المنزل. وينقل أفلاطون على لسان سقراط أن إعادة الروح الإنسانية إلى المرأة لا تتم إلا بالالتفاف الكامل منها في الدولة والمجتمع، وهذا في حد ذاته لايحدث إلا إذا حررت المراة من السجن المنزلي التقليدي والدور المرسوم لها قبل ولادتها. وينبع من رأي المعلم الأول فكرته التقدمية المشهورة بالقضاء على كيان العائلة الصغير الموجود في جماعات معينة في أثينا وتحويله إلى عائلة المجتمع، حيث يصبح المجتمع عائلة كبيرة تغدو مصلحة المجتمع فيها فوق مصلحة الفرد وأهم من سلطة الوالدين على الفرد. يرى أفلاطون أن المرأة شريك في المجتمع ويهزم في جمهوريته المشهورة الرأي القائل بأن دور المراة قد حددته الطبيعة في حدود المنزل وإعادة إنتاج البشرية، لذلك فإن ادعاء مجتمع أثينا بأن الطبيعة تحول دون تحقيق ذاتية الأنثى باطل، لأن دور الأمومة هو وجه واحد لإنسانية المراة، وهو ليس كمثل دور الأبوة عند الرجل (الحسن، ٢٠٠٩، ص ٣١– ٣٢).وخاصية أخرى من خصائص أربيل، هي أنها مدينة جاذبة للسياح من جميع أنحاء العالم، لأن فيها معالم أثرية، من تلك المعالم التي ذكرها السارد في (هولير حبيبتي) قلعتها الكبيرة في وسط المدينة وآثار جوارتاقان وتل قالنج آغا وغيرها من الآثار المذكورة في (هولير حبيبتي). (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨٠)توصلنا النماذج المذكورة أعلاه وغيرها من النماذج الواردة في الروايتين إلى أن خاصية أخرى من خصائص هولير هي أنها مدينة محبوبة من الجميع وهي – في المقابل – تحب الجميع، وفلسفة الحب عندها تتلخص في أنك عندما كنت قادراً على الحب، تكون قادراً على استيعاب كل ما يواجهك بهدوء وحكمة. لا شيء يستعصي حله على الحب، بالحب فقط يمكنك أن تحيل خصما إلى صديق، نجاحك في إيصال مشاعر حبك الصادقة هو خير سبيل لتخفيف حالة الخصومة وزوالها لديه. يحبك الناس على قدر نجاحك في إشعارهم أنك

جدير بمحبتهم لك، عندما تكون قادرا على حب من لا يحبك، فتلك إشارة أولى من إشارات قيمة الإنسان لديك كما جاء في (هولير حبيبتي)، (يوسف، ٢٠١٣، ص ٢٨٨-٢٨٩). وفي (هولير سدرة العشق) ترفع أربيل من شأن الإنسان أكثر، فتمتلىء إحساساً بأن مدن الأرض برمتها لا تساوي شيئاً مجدياً إذا خلت من رائحة الإنسان، وأنها لاتتفتح ولا تزدهر إلا بمقدار ما تتفوّح بعطر الإنسان (يوسف، ٢٠١٥، ص ١٣٠). وفي النماذج نفسها يتمظهر موقف كاتب الروايتين الإيجابي من مدينة أربيل، أما موقفه السلبي فنلمسه عند الحديث عن المدن السورية التي عادت إلى وقائع الجاهلية الأولى فلم تعد للإنسان قيمة فيها، وذلك بسبب اندلاع الحرب وبعد تحولها إلى مدن مرعبة وشبحية لا أحد يعرف متى تمتد إليه يد فتخطفه، مما دفع الكاتب إلى أن يفرّ من تلك المدن بل من بلاده كلها لاهثاً باحثاً عن مكان آمن يبعد فيه أسرته عن القصف (يوسف، ٢٠١٣، ص ٣٢٢)وخاصية أخرى من خصائص مدينة هولير- ذات الغالبة المسلمة- احترام المكونات الدينية الأخرى عن طريق مراعاة حرياتهم الدينية وإسكانهم في أحياء خاصة، وقد كان موقع الحي اليهودي أكثر استراتيجية لقربها من سوق المدينة الكبير والقلعة. ويذكر أنه بقى اليهود في أربيل لحين تهجيرهم القسري من إقليم كوردستان العراق سنة (١٩٥٠م) بعد إسقاط الجنسية العراقية عنهم، وكان عددهم آنذاك يقدر بحوالي ١٣ نسمة (كورية، ١٩٩٨، ص ٢٠٥) إلا أن أم كاروان اليهودية رفضت الهجرة فقررت البقاء والعيش في هولير مع زوجها المسلم، ونلفي في زواج أم كاروان وقرارها الصارم بالبقاء في مدينتها الأصيلة أنموذجا رائعا للتعايش وحب الزوجة للمدينة وزوجها نستخلص مما تقدم ذكره أن خصائص مدينة أربيل في روايتي (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) تتمثل في قوة العلاقات الاجتماعية التي أشبه بالعلاقات بين الأفراد في الريف، ويمكن سر ذلك في تأثر المدينة بالريف وتكوين الشخصية الهوليرية المنفتحة على الآخر والملتزمة بتعاليم الدين التي تشجعها على صلة الأرحام ومساعدة المحتاجين والغرباء. وتتميز المدينة أيضا بالجمال والحب والتآخي والجاذبية والنظافة والأمان والهدوء والجمع بين التناقضات والجاذبية والتفاؤل والانفتاح على الآخر والحراك الاجتماعي.

الخاتمة

توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

١- هناك تشابه بين أصل كلمة (مدينة) ومعانيها في اللغة العربية والعبرية والأكدية والآشورية، كما أن هناك تشابها بين المعنى اللغوي والسوسيولوجي للمدينة في التركيز على الجانب المادي والمعنوي.

٢- ثمة علاقة متينة بين المدينة والدين من جهة والمدينة والرواية من جهة أخرى، فقد كان الدين من العوامل الرئيسة لنشأة المدينة، وكذلك كانت المدينة العامل الأساس لظهور الرواية.

٣- تناولت ثنائية (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) الروايتين سيرة مدينة أربيل الذاتية، حيث ركز فيهما الكاتب على الهوية الدينية الإسلامية الصوفية والهوية القومية الكوردية للمدينة، مع عدم إهمال الهويات الفرعية الأخرى كالهوية التركمانية والآشورية واليهودية والمسيحية، وغيرها.

٤- يتميز موقف مؤلف الروايتين من مدن إقليم كوردستان وبالأخص مدينة أربيل بالإيجابية، ويتمثل ذلك في رصد الخصائص المحمودة فيها مثل: الحب، التآخي، الجمال، التعايش، الأمان، قوة الأواصر الاجتماعية والإنسانية وغيرها، بينما موقفه من المدن العربية العراقية والمدن السورية سلبي، بسبب أحداث العنف والتطرف التي حصلت في مرحلة ما يسمى بالربيع العربي.

٥- على الرغم من كل التغييرات والتحولات التي شهدتها المدينة عبر تاريخها الطويل، إلا أنها حافظت على بعض من رائحتها القديمة وتراثها الإصيل، ولم تغلق الباب أمام الحداثة والمعاصرة.

٦- اعتمد كاتب الروايتين على الذاكرة التاريخية والذاكرة البصرية والرؤية الشاملة في تصوير هولير، لأنه ليس من أبناء المدينة الأصلاء، وإنما هو نازح غريب، فعين الغريب تركز على الطبقة السطحية من المدينة، فلا تستطيع الغور إلى الأعماق.

٧- سجل الكاتب معلومات تاريخية في (هولير حبيبتي) و (هولير سدرة العشق) كما وردت في الكتب التاريخية، ففي بعض الأمثلة لم يوفق في توظيف تلك المعلومات توظيفا فنيا، فأنت عندما تقرأها تشعر بأنك تطالع كتابا تاريخيا. ولكننا لاننكر أنه حاول في أمثلة أخرى كسر رتابة الواقع التاريخي عن طريق تقنيات فنية مثل الأنسنة والغرائبية وغيرهما.

ثبت المصادر والمراجع

باللغة العربية

أولا: الكتب

- الأربلي، حسام داود خضر (٢٠١١)، إربل في شعر القرنين السادس والسابع للهجرة، بغداد، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع.
- أسود، نوزاد أحمد (٢٠١١)، المدينة في قصص جليل القيسي قراءة سايكو- سوسيولوجية، دمشق، تموز للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ، (ب. ت)، الرياض، بيت الأفكار الدولية.
- ابن منظور (ب. ت)، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف.
- إسماعيل، أحمد علي (١٩٨٨)، دراسات في جغرافية المدن، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- بنطاني، فاطمة (٢٠٢٠)، تجليات المدينة في الرواية المغربية الحديثة، إربد، عالم الكتب الحديث.

- الحسن، عيسى، (٢٠٠٩)، الجمهورية المدينة الفاضلة، أفلاطون، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- الحسيني، السيد (١٩٨١)، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري. دار المعارف، ١٩٨١.
- حمدان، جمال (ب. ت)، جغرافية المدن، ط٢، القاهرة، عالم الكتب.
- حمودة، حسين (٢٠٠٠)، الرواية والمدينة نماذج من كتاب الستينيات في مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- دوركهايم، إميل (١٩٨٢)، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.
- الشمالي، نضال (ب. ت)، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، إربد، عالم الكتب الحديث.
- صالح، عثمان أمين (٢٠٠٩)، أربيل مدينة الأدب والعلم والحضارة، أربيل، دار آراس للطباعة والنشر.
- الصقار، سامي بن خمار (١٩٩٢)، أمارة إربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي، الرياض، دار الشواف.
- الضبع، مصطفى (٢٠١٨)، استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عباس، إحسان (١٩٧٩)، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت.
- عبدالرؤوف، علي (٢٠١٧)، مدن العرب في رواياتهم، القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر.
- عثمان، محمد عبدالستار (١٩٩٨)، المدينة الإسلامية. الكويت، عالم المعرفة.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٢٠٠٨)، القاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث.
- قاسم، سيزا (٢٠٠٤)، بناء الرواية دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ، بيروت، ١٩٨٥.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ب. ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- كورية، يعقوب يوسف (١٩٩٨)، يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.
- لوكاش، جورج (١٩٨٦)، الرواية التاريخية، ترجمة: د. صالح جواد الكاظم، ط٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- حسين، محسن محمد (٢٠١٤)، أربيل في العهد الاتابكي، مكتب التفسير، أربيل.
- الموسي، عبد الرسول علي (٢٠٠٩)، المكان علم الجغرافية وفلسفتها التحليل المكاني، دمشق، دار الفكر.
- ممفورد، لويس (٢٠١٦)، المدينة على مر العصور، ج١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- منيف، عبدالرحمن (٢٠١٢)، رحلة ضوء. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- يوسف، عبد الباقي (٢٠١٣)، هولير حبيبتي، مكتب التفسير، أربيل.
- يوسف، عبد الباقي (٢٠١٥)، هولير سدرة العشق، مكتب التفسير، أربيل.

ثانيا: الرسائل والأطاريح :

- هداجي، أحمد (٢٠٢٣)، التحضر وأثره في تغيير العلاقات الاجتماعية دراسة حالة المدينة الجديدة الشيخ سيدي مهد بالكبير أدرار، أطروحة دكتوراه، ، جامعة أحمد دراية – أدرار.

ثالثا: المجلات العلمية (الدوريات):

- إدوارد، مايكل (٢٠٢١)، التعميد في المسيحية وحقوق الإنسان، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، ص ١٩-٣١.
- حسين، مجيد (٢٠١٨)، أنسنة المكان في رواية هولير حبيبتي، مجلة قةلاَى زانست العلمية، الجامعة اللبنانية الفرنسية- أربيل، كوردستان، العراق، المجلد (٣)، العدد (٤)، ص ٦٩٨-٧١٦.
- الناصر، أ.عطا الله (٢٠١٧)، الشاعر العربي والمدينة، مجلة تنوير، العدد الثاني، ص ٢١-٣٩.
- عبدالرحمان بن يطو (٢٠٠٨)، هوية المدينة وشكلنة الوعي الجمعي، جامعة الجزائر -٢ أبو القاسم سعد الله، كلية اللغة العربية المجلد ١٢، العدد ١، ص ٧٧-٩١.
- سمية، أ.هادفي (٢٠١٤)، سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٧/ ديسمبر، ص ١٦٩- ١٨٤.
- المعتصم، محمد (١٩٨٠)، المدينة الإسلامية وخصائصها. جامعة قطر. حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثاني، ص ٢١٧-٢٥٤.
- محمد، ضياء نعمة. حسن، عماد مهدي. (٢٠١٦) أثر العوامل الاجتماعية في تخطيط وعمارة المدن العربية الإسلاميةالعدد: ٢٦، ص ٥٩٩-٦١٥.

رابعاً: المراجع الالكترونية:

- أحمد، عمر عبدالجبار محمد (ب.ت)، علم الاجتماع الحضري، جامعة الملك سعود (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٧/٢٨):

https://faculty.ksu.edu.sa/sites/default/files/pptlm_ljtm_lhdry_1.pdf

- الجميلي، رياض كاظم سلمان. (٢٠٢٢) المدن الدينية: أنواعها وخصائصها الحضرية، موقع (جامعة كربلاء). (تاريخ الزيارة:٦/ ٧/ ٢٠٢٣):
https://uokerbala.edu.iq/archives/22824
- رحيم، سعد محمد. (٢٠٠٥) الرواية والمدينة: إشكالية علاقة قلقة. موقع الحوار المتمدن. (تاريخ الزيارة: ٣/٥/ ٢٠٢٣):
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٤٣٠٨٦.
- المشهوري، د.محمد (٢٠٢٢) رواية هولير حبيبتي: قراءة تداولية، موقع (كتابات)، (تاريخ الزيارة: ٨/ ٧/ ٢٠٢٣)
https://kitabat.com/cultural/س-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9

باللغة الإنجليزية:

1- Gottdiener;Mark.Hutchison,Ray,(2011)THE NEW URBAN SOCIOLOGY,Fourth Edition, , United States of America,WESTIVIEW PRESS.

2- Weber,Max (1966), The City, Translated by: Don Martindale and Gertrud, The Free Press, New York.

3- Akande, Lola (2017) REPRESENTATIONS OF THE CITY IN THE EARLY AND RECENT NIGERIAN NOVEL: PEOPLE OF THE CITY
https://www.researchgate.net/publication/319871927_REPRESENTATIONS_OF_THE_CITY

4- Howe, Irving (1971),The City in Literature,commentary, The monthly magazine of opinionm
, (On Line 5 /8 /2023):
https://www.commentary.org/articles/irving-howe/the-city-in-literature/